مراسم البلاطين الفاطمى والبيزنطي

دراســة مقارنــة

د. محاسن محمد الوقاد

كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر

يتناول هذا البحث دراسة نظم ومراسم البلاطين البيزنطي والفاطمى في محاولــة لعقــد دراسة مقارنة بينهما وتوضيح أوجه التشابه والاختلاف. ولا شك أن عقد دراسة مقارنة بين النظم الحضارية واستخلاص التأثير والتأثر يعد أحد الميادين المهمة في الدراسات التاريخية، التي تقدم للقارىء صورة عن حياة ملوك ذلك الزمان.

وبخصوص الدراسات السابقة بشأن هذا الموضوع، فكان أول من اهتم بدراسة رســوم الفاطميين في مصر المستشرق الروسى إنسترانتزف Inastrantsev إذ أعد بحثاً بعنوان "الخروج الاحتفالى للخلفاء الفاطميين"[1]. ويعد أول عمل علمى بحق تناول عــدداً مــن مظــاهر تنظــيم الاحتفالات الفاطمية. وقد نبَّه إنسترانزف في هذه الدراسة إلى أهمية مقارنة الاحتفالات الفاطميــة بالاحتفالات البيزنطية وطرح فكرة وجود تأثير ممكن لبيزنطة عليها[2].

ولم تقم أية دراسة جادة لنظم الفاطميين ورسومهم في مصر منذ هذا التــاريخ إلــى أن كتب الدكتور عطية مصطفي مشرفة رسالته "نظم الحكم بمصر في عصر الفــاطميين"[3] تنــاول فيها نظام الخلافة ونظام الوزارة والقضاء والدعوة والحسبة كما كانت تجرى في الدولة الفاطمية. وفي عام ١٩٥١ عقد المستشرق والعالم الفرنسى "ماريوس كانار" Marius Canard مقارنة بين مراسم البلاط الفاطمى ومراسم البلاط البيزنطي[4]، اعتماداً على المقريزى والقلقــشندى وكتــاب

---

(1) بالروسية الذي صدر في سان بطرسبرج عام ١٩٠٥م.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، انظر ص ٣١ (التمهيــد) ؛ انظر أيضاً:

Canard, M., 'Le cérémonial fatimite et le cérémonial byzantin' , *Byzantion* 20 (1950), p. 357, n.2.

(3) طبعة القاهرة ١٩٤٧م.

(4) *Le cérémonial fatimide*, pp. 355-420.

"المراسم البيزنطية" لقسطنطين بورفيرجنيتوس[1]، وهى دراسة عميقة ومركزة ؛ ثم أعقبهـــا فـــي سنة ١٩٥٢م بدراسة عن "ركوب أول العام عند الفاطميين" كما وصفه ابن الطوير وابن المأمون اعتماداً على نصوص المقريزى والقلقشندى وأبى المحاسن ودراسة إنسترانتزف السابق الإشـــارة إليها. وفي العام نفسه أتم المرحوم ا.د. عبد المنعم ماجد رسالته "نظم الفاطميين ورســـومهم فـــي مصر" التى تقدم بها إلى جامعة السوربون، ثم نشرها بالعربية في جزأين صدرا في القاهرة سنة ١٩٥٣ و ١٩٥٥. وفي سنة ١٩٨٤م، تقدمت الـــدكتورة بـــاولا ســـاندرز Paula A. Sanders برسالة إلى جامعة برنستون بالولايات المتحدة الامريكية عن "رسوم الدولة الفاطمية في مصر"[2]. وهى الدراسة الوحيدة التى اعتمدت على نصوص المسبحى وابن المأمون وابن الطوير، وتتبعت أوليات هذه الاحتفالات وتطورها، ولكنها لم تعقد مقارنة بين رسوم البلاطين، بل لم تشر إلى ذلك لا من قريب ولا بعيد.

وقد أهملت الدراسات السابقة بعض المصادر الإسلامية التى لا غنـــى للباحـــث عـــن الرجوع إليها. باستثناء دراسة باولا ساندرز التى اعتمدت على مصادر من الدرجة الأولى للعصر الفاطمى، واقتصرت على دكر رسوم الدولة الفاطمية.

وعلى الجانب الآخر؛ جذبت مراسم البلاط البيزنطى اهتمام عدد ليس قليل من الباحثين المحدثين، فوضعت العديد من الدراسات التى تناولت مختلف جوانب هذه المراسم، منهـــا علـــى سبيل المثال: دراسة فيكان Vikan عـــن هـــدايا الـــبلاط البيزنطـــى [3]، ودراســـة مكورميـــك McCormic عن المراسم الإمبراطورية [4]، ودراسات كاميرون Cameron وموفات Moffat عن مراسم البلاط فى ضوء كتاب المراسم لقسطنطين السابع [5]، ودراسة تينفيلد Tinnefeld عن

---

(1) Constantin VII Porphyrogénète. *Le Livre des Cérémonies*. I-2 texte établi et traduit Par Albert Vogt, Paris, 1935.

(2) Paula, S., *The Court Cérémonial of the Fatimid Caliphate in Egypt*. Princeton University, Ph.D. 1984.

(3) Vikan , G., *Gifts from the Byzantine Court* , Washington , 1980.

(4) McCormick , M., 'Analyzing Imperial Ceremonies' , *Jahrbuch der Österreichischen Byzantinistik* 35(1985),pp.1-20.

(5) Cameron , A., 'The Construction of Court Ritual : The Byzantine Book of Ceremonies', D. Cannadine & S. Price(eds.) , *Rituals of Royalty: Power and Ceremonial in Traditional Societies* , Cambridge , 1987, pp.106-136 ; Moffat , A., 'The Master of Ceremonies Bottom Drawer : The Unfinished State of the De Ceremonies of Constantine Porphyrogennetos' *ByzantinoSlavica* 57/2(1996).

"مراسم استقبال السفراء الأجانب فى بلاط بيزنطة وخلفياتهـا الـسياسية" [١]، ودراسـة كاريـه Carrier عن المراسم البيزنطية كما عكستها المصادر اللاتينية عصر الحروب الصليبية[٢].

ومن هنا تأتى أهمية هذه الدراسة التى تستهدف عمل مقارنة تاريخية-حضارية بين نظم البلاطين الفاطمى والبيزنطي، ومدى التأثير والتأثر المتبادل بينهما على وجه الخصوص، لإظهار مدى ازدهار الحـضارة الفاطمية آنذاك عن مثيلتها البيزنطية. ولا شك أن كتابة تـاريخ صـحيح للدولة الفاطمية ونظمها ورسومها في مصر لا يمكن أن يتم في غياب مصادر العصر الفاطمى[٣].

لقد حدث تطور في القاهرة الفاطمية، وكذلك في القصور التى شيدوها، بل فـي حيـاة البلاط ومراسمه فنشأت مؤسسات البلاط الكثيرة، وبالتالى صاحب ذلك مراسم فخمة ودقيقة لا نجد مثيلاً لها في ذلك العصر إلا في الإمبراطورية البيزنطية[٤]. وليس من المـستبعد، علـى حـد قـول ماريوس كانار،[٥] أن الفاطميين أعجبوا بالأحاديث الخاصة التى بلغـتهم عـن مراسـم الـبلاط البيزنطي من السفراء والتجار وعلى هذا أرادوا محاكاتها أو تقليد بعض ملامحها حتـى يـصل الخليفة الفاطمى إلى عظمة وجلال الإمبراطور البيزنطي.

---

(١) Tinnefeld , F., 'Ceremonies for Foreign Ambassadors at the Court of Byzantium and their Political Background' , *Byzantinische Forschungen* 19(1993).pp.193-214.

(٢) Carrier , M., *L' image du Grec selon les chroniques des Croisades : preceptions et reactions face au cérémonial byzantin 1096 a 1204* , Université de Sherbrooke , 2000.
وعلى مستوى مكتبة الدراسات البيزنطية العربية، ثمة بعض الدراسات التى تطرقت إلى دراسة جوانب من مراسم البلاط البيزنطى، منها : دراسة المرحوم أ.د. رأفت عبد الحميد "قواعد الدبلوماسية البيزنطية"، والتى تناولت جانبا من مراسم استقبال السفراء الأجانب كأحد الأدوات الأساسية فى الدبلوماسية البيزنطية . رأفت عبد الحميد، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٠٣-١٤١. كذلك هناك دراسة للباحث يوسف سمير كامل بسخرون تناولت مراسم البلاط البيزنطى كما عكستها المصادر اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى، وتحمل عنوان "مدينة القسطنطينية ومراسمها فى الكتابات اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى"، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٧م.

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر : أيمن فؤاد سيد، دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين في مـصر، دراسـات عربيـة وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين، القـاهرة ١٩٨٢م، ١٢٩-١٧٩.

(٤) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 355.

(٥) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 356.

وقد عرفت مصر قبل مجئ الفاطميين عظمة بلاط الطولـونيين والأخـشيديين؛ إلا أن أمراء هاتين الدولتين كانوا يدينون بالولاء لخلفاء العباسيين، لذا كان بلاط كل منهما علـى نـسق البلاط في بغداد وسامراء في العراق. ولكن الفاطميين – كخلفاء منافسين للعباسـيين – منحـوا بلاطهم في القاهرة الترف البالغ الذى يليق بخلافتهم الواسعة، التى امتدت حتى لامست العـراق، وطبعوه أيضاً بطابعهم المذهبى الخاص ؛ بحيث أن مصر لم تعرف منذ عهد الفراعنة والبطالمة بلاطاً يتميز بجدته وبذخه كالبلاط الفاطمى[1].

أما فيما يتعلق بالمراسم الفاطمية والتى شهدت عصر تألقها وازدهارهـا فـي القـرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى، فمن الطبيعى – ككل الحـضارات – أن يكـون لهـا جذورها وأصولها التى تعود إلى عصر سابق على هذا[2].

أما عن المقارنة بين مراسم البلاطين الفاطمى والبيزنطي فنتناولها على النحو التالي :

القصـــر:

اختط القائد جوهر الصقلبى في ليلة وصوله مدينة القاهرة – رابعة مدن مصر الإسلامية – التى قرر تأسيسها لتكون مدينة ملكية حصينة للخليفة وأتباعه ؛ كما اختط القـصر الفـاطمى، الذى أعده ليستقبل فيه مولاه المعز لدين الله، وأطلق عليه القصر الشرقى الكبير، لوقوعـه فـي الجهة الشرقية من القاهرة، وعرف أيضاً بالقصر المعزى، لأن الخليفة المعز هو الذى أمر ببنائه عند فتح مصر[3]. وبنى جوهر سوراً خارجياً من اللبن على هيئة مربع، طول كـل ضـلع مـن أضلاعه حوالى ألف ومائتى متر [4]، وقد ضم هذا السور جميع المنشآت الداخلية بالقاهرة، فبدت

---

(1) ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم، ص ٩. ولا شك في أن هذه مبالغة غير مقبولة، لأن بلاط الفراعنة فاق الخيال.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 356.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان ؛ بولاق ١٢٩٩هـ، جـ١، ١٦٨ ؛ جـ٢، ص ٥-٧ ؛ ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٣٦ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٦١ وما بعدها ؛ ناصـر خـسرو، سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٠٤ ؛ المقريزى، اتعـاظ الحنفـا، جـ١، ص ١١١ ؛ مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فواد سيد، لنـدن ١٩٩٥م، ص ٤٩، ٥٠، ٦٨. أنظر أيضاً:

Sanders , *Court Ceremonial* , pp. 61-62

(4) ابن دقماق، الانتصار، ص ٣٦ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٧٧ ؛ ابن اياس، بدائع الزهـور فـي وقـائع الدهور، طبعة بولاق، جـ١، ص ٤٥.

المدينة كأنها حصن عظيم يدور حوله سور سميك بحيث يستطيع أن يمر فوقه فارسان جنباً إلى جنب[1]. وقد اختلف المؤرخون في الغرض الذى أقيم من أجله، فمن قائل أن جوهراً "قصد باختطاط القاهرة[2] – حيث هى اليوم – أن تصير حصناً فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها، فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره، وأنشأ داخل السور جامعاً وقصراً، واعتبرها معقلاً يتحصن به، وتنزله عساكره، واحتفر الخندق من الجهة الشمالية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة وما وراءها من المدينة"[3]. على حين رأي البعض الآخر في هذا السور هدفاً أرستقراطياً يختلف عن هدف التحصين كما يفهم من عبارة المؤرخ ابن دقماق (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٧م) حين يقول إن جوهراً "بنى لسيده القاهرة والقصور، ليكون هو وأصحابه وأحفاده بمعزل عن العامة"[4].

وعلى هذا فمن المرجح أن يكون جوهر قد قصد الغرضين معاً، بمعنى أنه استطاع أن يحصن المدينة تحصيناً كافياً، وأن يعوق في الوقت نفسه عامة الشعب في كل من الفسطاط والعسكر والقطائع من الوصول إلى القاهرة، فقد كان محظوراً على اي فرد اجتياز أسوار القاهرة إلا إذا كان من جند الحامية الفاطمية، أو من كبار موظفي الدولة ؛ كما كان الدخول إليها وفق تصريح خاص[5]، عن طريق الأبواب الثمانية التى فتحها جوهر في السور : وهى اثنان في السور الشمالى هما باب الفتوح وباب النصر، وفي الجنوب باب زويلة وإلى الغرب منه بابا آخر أسماه باب الفرج، أما في الضلع الشرقى للسور فهما باب البرقية ويعرف أيضاً بباب التوفيق، أما الباب الثانى في هذا الضلع فهو باب القراطين[6]، الذى عرف فيما بعد بالباب المحروق[7].

---

(1) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٧٧.

(2) انظر الملحق رقم (١).

(3) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٦١.

(4) ابن دقماق، الانتصار، ص ٣٦، أنظر أيضاً:
Sanders, *Court Ceremonial* , pp. 62-63.

(5) عبد الرحمن فهمى، أسوار القاهرة وأبوابها من جوهر القائد إلى الناصر صلاح الدين، مجلة المجلة، العدد (٥١) ١٩٦٦م، ص ٤٦٩.

(6) نسبة إلى باعة القرط، حيث كان يوجد سوق للغنم أمامه، أنظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٥٣.

(7) عرف بهذا الإسم نتيجة لما فعله سبعمائة مملوك كانوا قد هربوا من القاهرة عندما علموا بمقتل الأمير أقطاي في عام ٦٥٢هـ/١٢٥٤م، حيث تركوا منازلهم في أثناء الليل، وتقدموا نحو هذا الباب فوجدوه مغلقاً كما جرت العادة بذلك، فأوقدوا النار في الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه. ومنذ ذلك الوقت عرف هذا الباب

وفي الضلع الغربى كان هناك بابان كذلك، أولهما باب القنطرة الذى بناه جوهر بعد سنتين من بناء السور نفسه، وأقام أمامه قنطرة فوق الخليج ليمشى عليها إلى المقسى ليدافع عن القاهرة ضد القرامطة. أما الباب الثانى فهو باب سعادة تيمناً باسم سعادة بن حيان غلام المعز، الذى يقال إنه دخل بجيشه مدينة القاهرة من هذا الباب في رجب عام ٣٦٠هـ / مايو ٩٧١م[١].

وفي قلب هذه المدينة نمت أول بذور العمارة الفاطمية، حيث وضع جوهر أساس السور المحيط بالقاهرة، والقصر الكبير الذى أعده لنزول الخليفة المعز لدين الله. وقد تلاشى هذا القصر عقب سقوط الدولة الفاطمية، ولم يبق لنا منه سوى الوصف الذى جاء في بعض المصادر التاريخية. ويفهم منه أنه كان يشتمل على تسعة أبواب[٢]. ويشغل مساحة تقرب من سبعين فداناً[٣]، ويتألف من خطط وأحياء تخترقها الطرقات والمسالك التى تفضى إلى أجزائه المختلفة فوق الأرض، أو في داخل السراديب المارة تحت الأرض. وكانت تضيئه الرحبات الكبيرة غير المسقوفة، أو الأفنية الداخلية الصغيرة. وقد ذكرت المصادر التاريخية أن بعض السراديب كان مظلماً تماماً، ويؤكد ما ذهب إليه الوصف الفريد الذى وصل إلينا عن هذا القصر أثناء حملة شيركوه الثانية على مصر[٤]، فقد أقسم عمورى الأول لوزينان (١١٦٢ – ١١٧٤م) Amaury I Lusignan، بألا ينسحب من مصر إلا إذا ألحق الهزيمة الساحقة بجيش شيركوه أو نجح في طرده منها. وبالتالى يصبح الصليبيون حماة مصر والخلافة الفاطمية، وقد طلب عمورى أن يرسل وفداً من رجاله لمقابلة الخليفة الفاطمى العاضد (٥٥٥ – ٥٦٧هـ / ١١٦٠ – ١١٧١م) للتصديق على ذلك، وأجيب إلى طلبه، وأنفذ الملك عمورى ملك بيت المقدس الصليبيى إلى

بالباب المحروق. أنظر المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٣ ؛ السلوك، جـ١ ق٢، ص ٣٨٩ – ٣٩١. أنظر أيضاً:

Sanders, *Court Ceremonial* , pp. 62-72.

(1) ابن عبد الظاهر، الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٦م، ص ١٦، ١٩. المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٣.

(2) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٣٢ ؛ ابن دقماق، الانتصار، ص ٣٧.

(3) أحمد عبد الرازق، تاريخ مصر وآثارها الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى، القاهرة ١٩٩٣م، ص ٢١٧.

(4) فايز نجيب اسكندر، الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين ١٨ مارس سنة ١١٦٧م / ٢٥ جمادى الأولى سنة ٥٦٢هـ، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية : مجلة علمية تعنى بالآداب والعلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المنيا، العدد الثامن والأربعون، ٢٠٠٣م، ص ٧٩ وما بعدها.

القاهرة رسولين كلفا بالحصول من الخليفة الفاطمى على تحالف قوامه أن يدفع الخليفة للصليبيين مائتى ألف دينار معجلة، ومثلها مؤجلة نظير دفاعهم عن مصر وصد الأعداء عنهـــا، وانـــسحب الرسولان وقد اشتد تأثرهما بما زخرت به الخلافة الفاطمية من مظاهر الثروة والترف[1].

والجدير بالتسجيل أن المبعوثين الصليبيين وصفا ما رأياه لوليم الصورى مؤرخ مملكة بيت المقدس الصليبية فرواه في مصدره التاريخي[2] على صورة يخيل لقارئها أنه يتحدث عـــن قصور ألف ليلة وليلة[3]، إذ جاء في هذا المصدر الصليبى الوحيد الذى انفرد بذكر تفاصيل حملة شيركوه الثانية على مصر وصفاً تفصيليا لما حدث من إجراءات تصديق الخليفة الفاطمى علـــى هذا الاتفاق، وشرح أنه استمد وصف القصر الفاطمى، وهيئة الخليفة، وثروتـــه، وأبهـــة ملكـــه وعظمته من روايات الذين تسنى لهم مقابلة الخليفة. وبالتالى زودنـــا بوصـــف أبهـــاء القـــصر والحرس، والنافورات، والحدائق التى قامت بها حظائر الحيوانات والطيور الضارية، ووصـــف القاعات وما ازدانت به من الستائر المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب، والمرصعة بالجواهر، وفي ذلك يقول : "وسار سفيرا الفرنج يقودهما الوزير شاور بنفسه إلى قصر له رونـــق وبهجـــة عظيمان، وفيه زخارف أنيقة نضيرة... ووجدا في هذا القصر حراساً عديدين، وسار الحراس في طليعة الموكب، وسيوفهم مسلولة، وقادوا الفرنجيين في دهاليز طويلة ضـــيقة، وأقبيـــة حالكـــة الظلمة، لا يستطيع إنسان أن يتبين فيها شيئاً ولما خرجا إلى النور اعترضـــتهما أبـــواب كثيـــرة متعاقبة، كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلحين ثم وصل الموكب إلى فناء مكشوف،

---

(1) Willermus. Achiepiscopus Tyrensis, *Historia Remum in Partibus Transmarinis Gestarum* , in: Recueil des Historiens des Croisades. Historiens Occident aux, Paris, 1844. Tome I, pp. 910-911; William of Tyre. *A History of the Deed done beyond the Sea* , trans. E.A. Babcock & A.C. Kery, New York 1943, t. II, pp. 319-320.

انظر أيضاً: رينيه جروسيه René Grousset في موسوعته المكونة من ثلاثة أجزاء وعنوانها "تـــاريخ الحـــروب الصليبية ومملكة الفرنجة في أورشليم (بيت المقدس)":

Histoire des Croisades et du Royaume Franc de Jérusalem, Paris, 1935, Tome. II, pp. 482 –486;

كذلك أورد جوستاف شلمبرجيه Gustave Schlumberger في كتابه المعنون "حملات الملك عمـــورى الأول ملك مملكة بيت المقدس على مصر في القرن الثانى عشر الميلادى" أن مبعوثى الملك الفرنجى انبهروا انبهـــاراً شديداً حين زاروا قصر الخليفة الفاطمى، ومع ذلك لم ينتابهم الخوف على الإطلاق: إذ أورد:

Campagnes du Roi Amaury I de Jerusalem en Egypte au XIIE Siécle, Paris, 1906, p. 118.

(2) Willermus. A Achiepiscopus Tyrensis , *Historia rerum* , tome, I, pp. 909-913

(3) Grousset, *Histoire des Croisades*, p. 482.

تحيط به أروقة ذات عمد، وأرضية مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان، وفيها تذهيب خارق للعادة بنضارته وبهائه، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة... وكان في وسط الفناء نافورة يجرى الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب والفضة إلى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام... وتبدو في هذا المكان كل مظاهر الأبهة الملوكية التى أبدعتها يد الصانع الماهر مما يشير إلى روعة الصنعة. هذا إلى أنها بلغت حداً من الإبداع تجعل العين لا تستطيع إلا أن تحملق في دهشة من روعة هذا الجمال النادر الذى لا يكل المرء من التطلع إليه، فهناك برك من الرخام للسمك ملاي بالماء الصافي. وكانت ترفرف في الفناء أنواع متعددة من الطيور الجميلة، ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة إعجاباً بها، وكان طعام كل منها يختلف عن طعام الآخر حسب أنواعها، إذ لكل نوع منها طعامه الخاص به... ومن هذا الفناء سار الموكب إلى أفنية عديدة أشد جمالاً وإبداعاً، ثم إلى بستان لطيف رأوا فيه أنواعاً غريبة من الحيوانات ذات الأربع، إذ كانت أشبه بما يراه النائم في حلمه، ولكنها مخلوقات موجودة في الواقع في بلاد الشرق ولكن لم ير الغرب مثيلا لها أو يسمع عنها إلا نادرا[1]. وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى وساروا في تعاريج كثيرة، وصلوا إلى القصر الكبير حيث يقطن الخليفة. وقد فاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك. وكان أفنيته تفيض بالمحاربين المسلمين، متقلدين أسلحتهم، وعليهم الزرد والدروع، تلمع بالذهب والفضة، ثم أدخل المبعوثون في قاعة واسعة، تقسمها ستارة كبيرة من خيوط الذهب والحرير المتعددة الألوان، وعليها رسوم الحيوان والطير وبعض المناظر الأدمية، وكانت تلمع بما عليها من الياقوت والزمرد والأحجار الكريمة، والخليفة جالس على عرش من الذهب المرصع بالجواهر والأحجار الثمينة"[2] وحوله طائفة من مستشاريه وعبيده وبعد انصراف المبعوثين أرسل الخليفة إليهما الهدايا والتحف تعبيراً عن سخائه الملوكى، فترك هذا انطباعاً جيداً لديهما أثناء وبعد رحلة العودة[3].

---

[1] وليم الصورى، الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق حسن حبشى، سلسلة تاريخ المصريين العدد (٧٧)، القاهرة، ١٩٩٥م، جـ٤، ص ٤٦ وما بعدها. أنظر أيضاً: زكى محمد حسن، كنوز الفاطميين، القاهرة ١٩٣٧م، ص ٧٤ وما بعدها.

[2] زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ٧٤ وما بعدها. وكذلك:

Lane-poole, S., *A History of Egypt in the Middle Ages*, London, 1936, pp. 180-181.

[3] وليم الصورى، الحروب الصليبية، ص ٥٠ ؛ أنظر أيضاً:

Willermus, Achiepiscopus Tyrensis, *Historia rerum* . p. 973; William of Tyre,*Deeds*, p. 320.

وكذلك أيضاً

Grousset, *Histoire des Croisades*, p. 913

وكان بالقاهرة عدا هذا القصر قصر أخر إلى الغرب منه، عرف بالقصر الغربى، شيده الخليفة العزيز بالله، ووصفه المسبحى بأنه "لم يبق مثله في شرق ولا في غرب"[1] وكان له أيضاً عدة أبواب أهمها باب الساباط، وباب التبانين، وباب الزمرد، وكان يتصل بالقصر الكبير الشرقى بواسطة سرداب تحت الأرض كان ينزل منه الخليفة ممتطياً ظهر بغلته تحيط به فتيات القصر[2]. وكان أمام القصر الكبير الشرقى، وفيما بينه وبين القصر الغربى ميدان فسيح، كانت تقام فيه حفلات عرض الجيش، حيث يقف فيه عشرة آلاف بين فارس وراجل، واشتهر فيما بعد باسم بين القصرين؛ كما كان هناك ميدان آخر بجوار القصر الغربى يجاور البستان الكافورى المطل على الخليج[3].

وفيما يتعلق بقاعات القصر، فقد استمدت المنشآت الملكية الفاطمية – مثلها مثل الدور التى كشفت في الفسطاط – طرازها من طراز سامراء اي سر من راي في البناء الذى أدخل على فن العمارة الإسلامية ذلك الأسلوب الذى ينسب المؤرخ والجغرافي المسعودى، أحداثه إلى الخليفة المتوكل العباسى (٢٣٢ – ٢٤٧هـ)، فقد ذكر أنه "أحدث في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف "بالحيرى والكمين والأروقة" وقد أخذه عن ملوك الحيرة من النعمانية من بنى نصر، فكان الرواق فيه مجلس الملك وهو "الصدر"، و"الكمان" ميمنة وميسرة، ويكون في البيتن اللذين هما الكمان من يقرب إليه من خواصه، وفي اليمين منهما خزانة الكسوة وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب ؛ والرواق قد عم فضاؤه الصدر، والكمين والأبواب الثلاثة على

Schlumberger, *Campagnes* . p. 125.

[1] المسبحى، أخبار مصر في سنتين (٤١٤-٤١٥هـ) تحقيق وليم ج. ميلورد، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٤٩؛ الجزء الأربعون من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، تيارى بيانكى، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٧٧م، ص ٧٠ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٧-٤٥٨ ؛ مسودة كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ص ٦٤.

[2] المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٧٠ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٧ – ٤٥٨.

[3] المقريزى، الخطط، جـ١، ٣٦٢-٣٦٣ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٢٩-١٩٥٦م، جـ٤، ص ٣٤-٣٦. أنظر أيضاً:

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 62.

الرواق ؛ فسمى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيرى والكمين إضافة إلى الحيرة، واتبع الناس المتوكل في ذلك اقتداء بفعله واشتهر إلى هذه الغاية[1].

وربما كان الباب الذهبى للقصر الفاطمى يذكرنا بالبوابة الذهبية لمدينة القسطنطينية[2]، ويمكن هنا عقد مقارنة بين القاعة الذهبية بـ Chrysotriclinos التى كانت تستخدم أيضاً للمآدب الكبرى، مثل المأدبة الكبرى التى كانت تقام في عيد القيامة، كذلك كانت تجرى فيه المقابلات التى لها صبغة رسمية.

وفي قاعة الذهب كان يوجد العرش "سرير الملك"، وهو عبارة عن تخت مرتفع يشغل عرض القاعة، وكان الأمويون أول من جلس من الخلفاء على سرير الملك في الإسلام[3]. وهذا التخت مغطى بالذهب من جهاته الثلاث[4]، ومغشى بنسيج ثمين له لمعان كأشعة الشمس، عليه صور الصيد من فرسان وخيل وكتابات جميلة وغير ذلك من الزخارف. وكان الفاطميون – مثل العباسيين – يهيئون على سرير الملك هذا "مرتبة فخمة"[5]، توضع في المكان المعين لجلوس الخليفة ؛ كما كانوا يقلدون رسوم الفرس في أن يجلس الخليفة خلف ستر لحجبه عن أعين الناس، فيعلقون على "باب المجلس" أمام السرير "ستراً"[6]، صنع من خيوط الذهب والحرير المختلف

---

(1) المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، بيروت ١٩٧٩م، ص ٥–٦ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٩ – ٩٠.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 359-360.

وقد أسس الإمبراطور قسطنطين العظيم (٣٠٦–٣٣٧م) هذه المدينة عام ٣٢٤م واستمر البناء ست سنوات كاملة، واحتفل بتدشينها عام ٣٣٠م. وقد اختار لها قسطنطين موقعاً جغرافياً متميزاً بالحصانة الطبيعية، حيث كان عبارة عن تل تحيط به المياه من ثلاث جهات صوب بحر مرمرة، وكانت تقع عليه قديماً قرية بيزنطة التي بنيت على أيدى الدوريين. لمزيد من التفاصيل عن تأسيس المدينة انظر ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣ وما بعدها ؛ السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٢٦–٢٨ ؛ وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، جـ١، ص ١٣–١٥.

(3) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، بيروت، ١٩٨٤م، ص ٢٦٠ ؛ أنظر أيضاً أشرف أنس، الدساتير، ص ٤٤٤.

(4) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٥٧ ؛

Sanders, *Court Ceremonial*, p. 128.

(5) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٩ ؛ أنظر أيضاً: ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١١٣.

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٩.

الألوان، وحلى بالجواهر النفيسة[1]، وكان يقف عن يمين الستر ويساره موظفان كبيران[2] لرفعه وإرخائه في مناسبات الجلوس. ويتفق ذلك مع "سرير الملك" الخاص بالإمبراطور البيزنطي[3].

أما جزء القاعة حيث كان ينصب العرش، فقد كانت منفصلة بواسطة باب عليه ستارة، لا ترفع إلا عند ما يكون الخليفة جالساً على العرش[4]، وفي هذا "الإيوان الكبير"[5] كان يوجد به أيضاً عرش. ومن خلال وصفه هذا يجعلنا نعتقد أن هناك تشابهاً مع العرش الخاص بالإمبراطور البيزنطي[6]. فقد كان يقام هنا بناء صغير يسمى "السهدلا"[7] ويشير ابن الطوير إليه بقوله "وينزل الخليفة في "السهدلا" بدهليز باب الملك الذى فيه الشباك " والسّدلا الفاطمية بناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح من الجانب الرابع حيث كان يوجد "الشُباك"، وحدد موضعها على وجه التقريب في وسط القصر بين باب العيد وباب البحر[8].

أما "الشباك" فأشبه بمقصورة عليها من ظاهرها ستر يرفعه اثنان من الأستاذين المحنكين – زمام القصر وصاحب بيت المال – متى حضر الوزير وجلس على الكرسى الكبير الحديد الموجود تحت الشباك ؛ وفور رفعها يُرى الخليفة جالساً في المرتبة الهائلة به[9].

---

(1) ابن الفرات، كتاب الرسل والملوك، تحقيق المنجد، القاهرة ١٩٤٧م، ص ١٢٨. أنظر أيضاً: ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١١٣.

(2) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، جـ٣، ص ٤٩٩ ؛ ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٥٧.

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 360.

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦، ٣٨٨.

(5) الإيوان لغة هو البيت المؤزج، اي المرتفع البناء غير المسدود الوجه. اي أنه قاعة مسقوفة بقبوة، مفتوح مقدمها على بهو بعقد مقوس نصف دائرى، أو مدبب أو منفوخ أو منبعج مغلق مؤخرها بجدار. أنظر ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٩.

(6) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 360.

(7) و "السهدلى" أو "السدلى" أو "السدلا" لفظ فارسى معرب. وذكر ابن منظور أن "السدلى على فُعلى معرب وأصله بالفارسية سهدله. ابن الطوير نزهة المقلتين، ص ٩٧.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٧ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٨٢.

(9) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٧، ١٥٤ ؛ وتواجد الشباك في نفس هذه الفترة يذكرنا بأحداث عام ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، فقد خرج على الخليفة العباسى أحد قواده وهو أبو الحارث البساسيرى، وانضم للخليفة المستنصر الذي أمده بالسلاح والأموال، فتقدم في عام ٤٥٠هـ/١٠٥٨م ودخل بغداد ففر منها الخليفة القائم بأمر الله العباسى، وأرسل البساسيرى البردة والقضيب والمنبر والشباك، وخطب للخليفة المستنصر بالله الفاطمى على منابر بغداد نحو أربعين أسبوعاً، كما حذت مدن العراق الأخرى حذو بغداد، فخطب للمستنصر في هذا العام

وفيما يتعلق "بالإيوان الكبير"، فقد بناه الخليفة العزيز بالله في عـــام ٣٦٩هـــ / ٩٧٩م بالقصر الكبير الشرقى[١]، وكان يتوصل إليه من باب العيد[٢] وكذلك من دهليز بـــاب الـــديلم[٣]. وكان به الشباك الذى يجلس فيه الخليفة ويتكئ عليه وقت قراءة الـــسجلات بـــالإيوان[٤] وبهـــذا الإيوان كان جلوس الخلفاء الجلوس العام بمجلس الملك قبل انتقال الجلوس نهائياً إلى قاعة الذهب في يومى الإثنين والخميس زمن الخليفة الأمر[٥]. وكان للإيوان صحن يجتمع به النـــاس لتقـــرأ عليهم فيه السجلات الصادرة عن الخليفة[٦] ؛ كما كان يمد فيه سماط رمضان والعيدين، ويعمل به الاجتماع والخطبة يوم عيد الغدير[٧].

على منابر البصرة وواسط وأعمالهما. لمزيد من التفاصيل انظر، المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٣٥٦ ؛ ابـــن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـــ٥، ص٦ ؛ حسن إبراهيم، الفاطميون في مصر وأعمالهم الـــسياسية والدينيـــة بوجه خاص، القاهرة ١٩٣٢م، ص ٢٣٢ ؛عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطميـــة وســـقوطها فـــي مـــصر، التاريخ السياسى، الاسكندرية ١٩٦٨م، ص ١٧٩.

[1] المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٣٨٨ ؛ مسودة كتاب المواعظ، ص ٦٩.

[2] أحد أبواب القصر الكبير كان يفتح في واجهته الشرقية في مواجهة السور الجنوبى لدار الوزارة الكبرى. ولم يكن يؤدى إلى قاعة أو قصر صغير مثل بابى البحر والذهب، وإنما كان يقود من خلال الدهاليز الطوال إلـــى الفنـــاء الداخلى للقصر الذي كان يتم فيه عرض الخيل وإلى الإيوان الكبير وأطلق عليه باب العيـــد لأن الخليفـــة كـــان يستخدمه في الذهاب لصلاة العيدين. انظر ابن المأمون، أخبار، ص ١٦، ٢٠، ٢٤ ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٣٤٥ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـــ٤، ص ٣٥، أنظر أيضاً:

Fu'ad Sayyid, A., *La Capitale de I'Egypte à I'époque Fatimide al-Qâhira et al-fustât*, pp. 301-306.

[3] هو الباب الجنوبى الشرقى للقصر الكبير يفتح في واجهته الجنوبية ويدل موضعه اليوم بـــاب المـــشهد الحـــسينى المعروف بالباب الأخضر. وكان يفضى إلى قبة الديلم التي دفن بها رأس الحسين وصـــارت تعـــرف بالمـــشهد الحسينى. المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٢٧، أنظر أيضاً:

Fu'ad Sayyid, *La Capitale de I'Egypte*, pp. 316 – 322.

[4] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٣٤، ٩٨.

[5] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٩، ٢٠٥.

[6] المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٤، ٢٤.

[7] ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٢٤ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٩ ؛ المقريـــزى، الخطـــط، جـــ١، ص ٣٨٨. أول ما احتفل الشيعة بعيد الغدير في العراق سنة ٣٥٢ في أيام معز الدولة بن بويه، وأول مـــا عمل بمصر في سنة ٣٦٢، المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٣٨٩، أنظر أيضاً: ص ٧٢ هـــامش (٣) مـــن هـــذا البحث.

على أية حال، أحضر هذا الشباك من بغداد إلى القاهرة وزين قاعة لمقر إقامة الوزير الفاطمي. ويتشابه ذلك بالعرش الذى علق على شكل قبة، والموجود في اجتماع المجامع الدينية في الإمبراطورية البيزنطية ؛ فهذا العرش كان يدعمه أربعة أعمدة تتسدل من بينها الستائر، وكانت تُشد الستائر عندما يريد الإمبراطور الظهور أمام العامة[1].

وقد زودنا الرحالة ناصر خسرو بوصف العرش الفاطمى في عهد المستنصر بالله (٤٢٧ – ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ – ١٣٩٤م) فقال : "حين دخلت من باب السراي رأيت عمارات وايوانات، وكان هناك إثنا عشر جناحاً، أبنيتها مربعة، وكلها متصلة بعضها ببعض. وكلما دخلت جناحاً منها وجدته أحسن من سابقه، ومساحة كل واحد منها مائة ذراع. عدا واحداً منها كانت مساحته ستين ذراعاً في ستين، كان بهذا الأخير تخت – اي عشر – يشغل عرضه بتمامة وعلوه أربعة أذرع، وهو مغطى بالذهب من جهاته الثلاث، وعليه صور المصطاد والميدان وغيرهما، كما أن عليه كتابة جميلة. وكل ما في هذا الحرم من الفرش والطرح من الديباج الرومى والبقلمون[2] نسجت على قدر كل موضع تشغله. وحول التخت درابزين من الذهب المشبك، وصفه يفوق الخيال والواقع، ووجد خلف العرش، بجانب الحائط درجات من الفضة. وبلغ هذا التخت من العظمة درجة كبيرة. والدرابزين المعرش يبدو أنه الشباك. ونسجل هنا أيضاً تشابهاً مع البلاط البيزنطي فيما يتعلق بـ "عرش الإمبراطور"، فقبة العرش بنسيجها الحريرى المطرز والمقصب بخيوط ذهبية مأخوذة أصلاً من بغداد، مما يؤكد رجوع أصولها إلى أصول شرقية. كما أن المظلة أو الخيمة التى في قاعة الذهب كانت على وجه الخصوص ثمينة[3]. أما الخيمة التى صنعت بأمرمن الوزير اليازورى (في أوائل النصف الأول من القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى) فكانت مطرزة ومقصبة بخيوط ذهبية، مما يؤكد التأثير الشرقى الإسلامى، وقد بلغ وزنها ثلاثين ألف مثقال، ومزينة بألف وخمسمائة وستين قطعة من الأحجار الكريمة الثمينة من كافة الأنواع[4].

---

(1) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 361-362.

وعن المجامع الكنسية المسكونية، انظر ليلى عبد الجواد، القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين، مجلة المؤرخ المصرى، العدد يناير ١٩٨٩، ص ١٨٣، ١٩١.

(2) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ١٢٣.

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 363.

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٥ ؛ وقد أطلق المقريزى على الخيمة كلمة الستر.

وبعد أن رأينا الحياة الملكية في القصر الفاطمي على الباحث أن ينظر بالمثل لما كان يجري في البلاط البيزنطي حتى يتبين لنا أوجه الشبه والخلاف بينهما. فالقصر البيزنطي[1]، قد اتخذه الإمبراطور سكناً ومركزاً للحكم، وبه أيضاً حاشيته، فمن داخل جدرانه وجنباته تدار دفة شئون الإمبراطورية بأكملها. وكان القصر يشغل رقعة واسعة من الأرض على ضفاف بحر مرمرة، ويقع بين ميدان السباق وكنيسة آيا صوفيا[2]. وكان يشغل الركن الجنوبى الشرقى من المدينة، وكانت مبانيه تمتد ما يدانى الميل طولا. وقد حدد هارون بن يحيى موقع القصر ومساحته فذكر : "على قصر الملك سور واحد[3] يحيط بجميع القصر، ودورانه فرسخ، أحد جنباته مما يلى المغرب متصل بالبحر وله ثلاثة أبواب من حديد"[4]. بالإضافة إلى انفراد هارون بن يحيى دون غيره بتقديم تفاصيل شيقة عن القصر الإمبراطورى[5]. وقد تحدث أيضاً عن أخرى[6].

---

(1) انظر الملحق رقم (٣) خريطة بمعالم القسطنطينية زمن الحملة الصليبية الرابعة. وصورة توضح جزءاً من قصر بوكليون الإمبراطورى والصورة الأخرى جزءاً من القصر الإمبراطورى بالقسطنطينية.

(2) عن كنيسة آيا صوفيا انظر ص ٥٧ هامش (٢) من هذا البحث، وأنظر أيضاً شكل ٤.

(3) المسعودى، التنبيه والأشراف، بيروت ١٩٩٣م، ص ١٣٨ ؛ ابن رسته، كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، ليدن ١٨٩١م، ص ١١٩-١٢٠ ؛ ابن خرداذبه، المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، ص ١٠٠ وما بعدها. أنظر أيضاً: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٥.

(4) ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٥-١١٦.

(5) كان قصر البلاشيون الواقع جنوب القسطنطينية هو القصر الرئيسى للامبراطور، وكان يحوى عدة كنائس خاصة به، وبه دهليز يربط بينه وبين الهيبودروم. انظر: نجلاء مصطفي عبد الله شيحه: القسطنطينية في القرن العاشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م، ص ١٩٦-٢٠٠. , وقد تحدث البعض عن قصر البلاشيون، بقوله أنه على الرغم من أن أساساته تمتد على أراضى منخفضة، إلا أنه يكتسب سمواً من خلال عمارته الممتازة وبهائه، وبسبب ما يقع حوله من ثلاثة جوانب فإنه يبعث في سكانه البهجة الشديدة بوقوعه على البحر والحقول والمدينة. وما يقع خارجه جماله فائق، أما ما يقع داخله فيفوق جماله الوصف. فهو مزين في كافة أرجائه بالذهب بشكل متقن وتشكيلة عظيمة من الألوان، وأرضية مصنوعة من الرخام، وهذا القصر هو المبنى الوحيد الذي كان يطو فوق الأسوار. طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية ١٠٩٦-١٢٠٤م، المؤرخ المصرى، العدد التاسع والعشرون يناير ٢٠٠٦م، ص ٢٦٧. ولمزيد من التفاصيل انظر :

Odo of Deuil, *De Profectione Ludovici VII in Orientem*, ed. & trans. V.G. Berry, New York, 1948 ; Ebersolt, J., *Le grand palais de Constantinople et le livre des ceremonies*, Paris, 1910.

(6) روبرت كلارى، فتح القسطنطينية، ص ١٣٠ ؛ طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص ٢٧٦. ولمزيد من التفاصيل عن الهيبودروم أنظر ايضاً:

و يشير البعض إلى أنه كان هناك دهليز طويل يربط بين الهيبـــودروم وبـــين القـــصر الإمبراطورى، ويقع أمام باب الهيبودروم، يسير فيه الإمبراطور البيزنطي وحاشيته من القـــصر إلى المقصورة الملكية التى تطل على مضمار الخيل. وكانت مساحة هذا الدهليز تبلغ مائة خطوة في عرض خمسين خطوة، وعلى الجانبين من الدهليز أسرة موضوعة عليها فرش مـــن ديبـــاج ومضربات ووسائد، وعليها قوم من السودان متنصرة، بأيديهم أترسة ملبسة ذهباً، ورماح عليهـــا ذهب. وأما باب المنكناة، فتدخل إلى دهليز طوله مقدار مائتى خطوة في عرض خمسين خطـــوة مفروش بالرخام وأسرة موضوعة على جانبى الدهليز عليها قوم خزر في أيديهم القسى.

وجدير بالذكر أنه كان في هذا الدهليز أربعة حبوس: حبس منها للمسلمين، وحبس لأهل طرسوس[١]، وحبس للعامة، وحبس لصاحب الشرطة. وفي الدهليز أسرة يمنة ويسرة عليها فرش متخذة، وعليها قوم أتراك بأيديهم القسى والأترسة، فتمضى في الدهليز حتى تنتهى إلـــى فـــضاء مقدار ثلاثمائة خطوة، ثم تنتهى إلى الستر المعلق على الباب الذى يفضى إلى الدار[٢].

وقد تحدث الإدريسى عن اتساع هذا القصر إذ أورد : "وبها (أي القسطنطينية) القـــصر الشائع ذكره شماخة بناء واتساع قطر وحسن ترتيب"[٣].

واحتوى القصر الإمبراطورى من الداخل على بيت مال الإمبراطور، ومجلس طعامه، وبهو المآدب الرسمية، وقاعات الاجتماعات، وصالات لاستقبال السفراء. فيـــذكر ابـــن رســـتة وعلى اليمين من داخل الدار بيت مال الملك... وعلى شمال الداخل مجلس طوله مائتى خطوة في عرض خمسين خطوة، وفي المجلس مائدة من خلنج[٤] ومائدة من عاج، وفي صدر المجلس مائدة من ذهب يجلس عليها الملك[٥].

Guilland, R., *Études de topographie de Constantinople Byzantine*, Berlin, 1969, p. 396 ff.; Janin, R., *Constantinople Byzantine*, Paris, 1950. pp. 177-191.

(2) طارق منصور، هارون بن يحيى، ص ٤٨.

(3) الأدريسى: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، روما ١٩٧٧م، ص ٨٠١-٨٠٢. أنظر أيضاً: ليلى عبـــد الجـــواد: القسطنطينية، ص ١١٥.

(4) "خلنج" شجر فارسى معرب تتخذ من خشبه الأوانى، وقيل هو كل جفنة وصحفة وآنية صـــنعت مـــن خـــشب ذى طرائق. ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٦.

(5) ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٦ - ١١٧.

وقد تحدث وليم الصورى أيضاً عن القصر الإمبراطورى الذى كان يقع علـــى شـــاطئ البحر مواجهاً الشرق، وكان له رصيف عجيب من الرخام الرائع يصله بالبحر. وكانت الـــسلالم المؤدية إلى الماء وتماثيل الأسود والأعمدة منحوتة كلها من الرخام، وتضفي على القصر روعة ملكية، وهذا المدخل كان مخصصاً للامبراطور فقط، عندما يريد الصعود إلى القسم العلوى مـــن القصر. وفي الطابق الثانى من القصر الإمبراطورى كانت توجد عدة حجرات وأجنحة، منها مـــا هو مخصص للاجتماعات الإمبراطورية، وكانت تسدل ستائر غاية في الفخامة والدقـــة وروعـــة النقوش والزخارف لحجبهما عن الواقفين بالخارج. وفي قاعة الاجتماعات هذه كان الإمبراطـــور يجلس على عرشه الذهبى الفخم مرتدياً ملابسه الإمبراطورية ؛ كما كانت بعض هـــذه الأجنحـــة مخصصة لإقامة الملوك الوافدين على الإمبراطور[1].

كما أشار إلى الذخائر المقدسة بالقصر، والتى كانت محفوظة به منذ زمـــن بعيـــد فـــي غرف خاصة، أمثال ذخائر القديسين، آثار السيد المسيح، كالصليب والمسامير والحربة، والإسفنجة، وقصبة الغاب، والتاج الشوكى، والثوب الكتانى، والخفين ؛ وكـــذلك آثـــار الأبـــاطرة الأوائـــل أمثـــال الإمبراطور قسطنطين وثيودوسيوس وجستنيان، المحفوظة في الخزائن بغرف القـــصر الإمبراطـــورى المقدسة[2].

وقد أبرز روبرت كلارى جمال القسطنطينية الخلاب وثراءها الفاحش لقرائه؛ فيقول عن القصر الكبير أو قصر بوكُليون Boukoleon[3] "أنه كان قصراً غنياً جداً "، ثم يبدأ في وصـــف القصر على النحو التالى : "كان في هذا القصر الذى احتله الماركيز خمـــسمائة قاعـــة متـــصلة

---

[1] وليم الصورى، الحروب الصليبية، جـــ٤، ص ١٤١، ١٤٢، أنظر أيضاً:

William of Tyre, *Deeds*, pp. 379 – 380.

كذلك طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص ٢٧١.

[2] وليم الصورى، الحروب الصليبية، جـــ٤، ص ١٤٣، أنظر أيضاً: طارق منصور، القسطنطينية فـــي الكتابـــات الصليبية، ص ٢٧٢ – ٢٧٣؛ وكذلك:

William of Tyre, *Deeds*, pp. II, 381.

[3] سمى هذا القصر الإمبراطورى باسم قصر بوكليون نسبة إلى مرفأ القصر المسمى بذلك الاسم حيث نصب تمثـــال ضخم لثور يقاتل أسداً. وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المبانى المتجاورة شيدت بأيدى أباطرة مختلفين. وقد ظل هو القصر الإمبراطورى الذي تدار دفة الحكم منه. ربما حتى عصر آل كومنينوس، الذين فضلوا الإقامة في قصر البلاشيرنBlacherne. لمزيد من التفاصيل أنظر: رنسمان، الحـــضارة البيزنطيـــة، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ ؛ طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص ٣٠٩ ؛ وكذلك

Janin , *Constantinople* , pp. 120-121; Guilland , *topographie de Constantinople* , p. 249.

بعضها ببعض، ومبنية جميعها بالفسيفساء المذهبة، وفيه ثلاثون كنيسة ما بين صـــغيرة وكبيـــرة، تعرف إحداها بالكنسية المقدسة، وكانت غنية جداً ورائعة.." [1].

ولم يفت روبرت كلارى[2] أيضاً التحدث عن قصر البلاشيرن، الذى كان يـضم بـين جوانبه عشرين كنيسة، وما لا يقل عن مائتين أو ثلاثمائة قاعـة، متـصلة ببعـضها الـبعض، ومصنوعة كلها من الفسيفساء المذهبة. وقد بلغ هذا القصر من الفخامة والروعة حداً يعجز كـل فرد عن وصفه أو أن يروى عن ثرائه وفخامته. وكان هذا القصر يحوى ثروات باهظـة منهـا تيجان الأباطرة البيزنطيين السابقين، وحلى ذهبية ثمينـة، وأقمـشة حريريـة غاليـة، وأثـواب الإمبراطورية الغالية والأحجار الكريمة النفيسة، وأقر روبرت كلارى بأنه لا يـستطيع أحـد أن يقدر كميات الذهب والفضة الضخمة التى كانت بتلك القصور الإمبراطورية.

وكانت الحياة اليومية داخل القصر الإمبراطورى تبدأ في السابعة صباحاً في كل يـوم، حيث يقوم كبير الحجاب وبصحبته ضباط الحرس بفتح باب المدخل الرئيسى للقصر. ثم يبـارح الإمبراطور حجرته الخاصة يحيط به خدمه ويتجه نحو الكنيسة الملحقة بالقصر الإمبراطـورى، والخاص به ليتلو فيها صلواته. والتى كانت تسمى "كنيسة الملك"[3] و "هى كنيـسة لهـا عـشرة أبواب، أربعة منها ذهب، وستة فضة. وبهذه الكنيسة مقصورة للإمبراطور يؤدى فيها صـلاته ؛ وهى كما وصفه ابن رسته "موضع أربعة أذرع في أربعة أذرع، مرصع ذلك الموضـع بالـدر والياقوت، وكذلك مسنده الذى يستند إليه مرصع بالدر والياقوت، وعلى باب المذبح أربعة أعمـدة من رخام منقورة من قطعة واحدة. وطول المذبح الذى يصلى عليه القس ستة أشبار فـي عرض ستة أشبار، وهو قطعة خشب عود قمارى مرصع بالدر والياقوت يقف عليه قس

---

(1) روبرت كلارى، فتح القسطنطينية على أيدى الصليبيين، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ١٩٦٤م، ص ١٢٤. أنظـر أيضا: طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ٢٧٥.

(2) روبرت كلارى، فتح القسطنطينية، ١٢٦. أنظر أيضا: طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الـصليبية، ص ٢٧٦.

(3) يشير الجغرافيون المسلمون المعاصرون لهارون بن يحيى إلى عدد من الكنائس الأخرى ككنيـسة آيـا صـوفيا، وكنيسة الرسل المقدسين، وغيرهما من الكنائس والأديرة الموجودة بالقسطنطينية. انظـر: ليلـى عبـد الجـواد، القسطنطينية، ص ١٨٤-١٩٠. وللتفاصيل أنظر:
Parker, J., "A Twelfth Century Description of St. Sophia", *Dumbarton Oaks Papers*14 (1960), pp. 233-245.

الملك. وسائر سقوف الكنيسة كلها آزاج معمولة من الذهب والفضة، ولهذه الكنيسة أربعة صحون[1].

وبعد أن ينتهي الإمبراطور من أداء صلوات الصباح في كنيسته، يستوى على عرشه استعداداً لاستقبال أشراف بلاده وكبار موظفيه وغيرهم ممن يريدون المثول بين يديه ؛ كذلك يقومَ الإمبراطور باستقبال السفراء. وكانت هناك مراسم خاصة لدخول القصر والمثول بحضرة الإمبراطور يأتي على رأسها :

وعند الدخول على الإمبراطور البيزنطي كان يتحتم أن يأخذ الزائر إذنا بذلك. فيذكر ابن بطوطة : "أنه لما وصلنا الباب الأول من أبواب مقر الملك، وجدنا مائة رجل معهم قائد لهم وهؤلاء حرس الباب على ما يبدو فمنعونا من الدخول وقالوا : لا يدخلون إلا بأذن. فأقمنا بالباب إلى أن أمر بدخولنا"[2].

وبعد الحصول على الإذن، يأتي التفتيش؛ إذ كان لابد من تفتيش كل من يدخل إلى القصر للتأكد من أنه لا يحمل معه سلاحاً، وذلك حرصاً على سلامة الإمبراطور. ويذكر ابن بطوطه في هذا الصدد: ".... ودخلنا إلى القصر، فجزنا أربعة أبواب... فلما وصلنا إلى الباب الخامس.... أتى أربعة من الفتيان الروميين ففتشوني لئلا يكون معي سكين". وكانت هذه عادة البيزنطيين، اي لابد من تفتيش كل من يدخل على الإمبراطور من خاص أو عام، غريب أو من أهل البلد[3].

وبعد التفتيش يأتي المرور بين صفوف الحرس، إذ يفتح الباب للشخص فيحيط به أربعة من الرجال، يمسك إثنان بكمه، واثنان من ورائيه، ثم يدخلوا به مشواراً كبيراً حيطانه مغطاه بالفسيفساء والناس واقفون يميناً ويساراً سكوتاً لا يتكلم أحد منهم. وفي وسط المشوار ثلاثة رجال

---

(1) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٢١. أنظر أيضاً: نجلاء مصطفي، مدينة القسطنطينية، ص ١٩٩ ؛ طارق منصور، هارون بن يحيى، ص ٤٩ – ٥٠.

(2) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٣٢. أنظر أيضاً: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٦-١١٧. وكذلك مقابلة مبعوث عمورى الأول للخليفة الفاطمى العاضد، ص ١٠ وما بعدها.

(3) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٣٢ – ٢٣٣. أنظر أيضاً: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٧.

وقوف يتسلمون الشخص من أولئك الأربعة، ويمسكون بثياب الشخص كما فعل الآخرون، ثم يتقدمون به نحو الإمبراطور"[1].

وقبل أن يصل الشخص إلى عرش الإمبراطور ويسمح له بالجلوس في حضرته كان لابد من إثارته وإبهاره، فيذكر عمارة بن حمزة، أحد سفراء الخلفاء العباسيين إلى القسطنطينية في القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى، أنه وجد في طريقه إلى الإمبراطور "أسدين على جانبى الطريق، وطريقي عليها لا أجد من ذلك بدا... فحملت نفسي، فلما صرت بينهما سكنا فجزت،... وإذا سيفان يختلفان على طريقي... لو مرت بينهما ذبابة لقطعها... فاستخرت الله ومضيت فلما صرت بينهما سكنا". وكان الأسدان والسيفان حيلة يحتال بهما الروم لمن يرد عليهم من الرسل لتروعهم فإذا اقترب منها الرجل سكنت[2].

ثم يصل الشخص بعد ذلك إلى بهو الإمبراطور، الذى يعد من أهم وحدات هذا القصر من حيث اتساعه وارتفاع جدرانه، وقد بهر هذا البهو الفسيح عمارة بن حمزة، وقت مقابلته للإمبراطور فيذكر : "وهو بهو فسيح أكاد لا أبصره (الإمبراطور) لبعد مسافة البصر بينى وبينه، فمشيت حتى انتهيت إلى قدر ثلثه فغشيتنى سحابة حمراء لم أبصر شيئاً فجلست مكانى... ثم تجلت عنى، فقمت فمشيت، فلما بلغت نحو الثلثين غشيتنى سحابة خضراء، فغشى بصرى منها فجلست حتى تجلت ثم قمت فمشيت، فانتهيت إلى الملك"[3].

وكانت هذه الأضواء تنبعث في حقيقة الأمر من قطعة ياقوت أحمر وأخرى من زمرد أخضر توجد في ثنى فراش الإمبراطور ليبهر بها أبصار رسل الملوك والداخلين إلى حضرته[4].

وما أن يصل المرء إلى الإمبراطور حتى يجده جالسا على سريره – كحال الخليفة الفاطمى – وعن يمينه ستة رجال وعن يساره أربعة وكلهم بالسلاح[5]. وهكذا كان على الشخص

---

[1] الهمذانى، مختصرة كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢هـ، ص ١٣٧. أنظر أيضاً: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٨.

[2] الهمذانى، مختصر كتاب البلدان، ص١٣٨ ؛ أنظر أيضاً: ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٨.

[3] ابن فقيه، كتاب البلدان، ص١٣٧– ١٣٨. أنظر أيضا : ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٨ ؛ نجلاء مصطفي، مدينة القسطنطينية، ص ٢٠٠.

[4] ابن فقيه، كتاب البلدان، ص١٣٨. أنظر أيضا:ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٨ – ١١٩.

[5] ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٢٣٣. لدينا وصف لترتيب الأفراد حول العرش الإمبراطورى التي من المحتمل أنها بدأت منذ عهد قسطنطين السابع، وكان الطواشى الـ Spathariai يقف في شبه دائرة مباشرة خلف

أن يمر في متاهة من الدهاليز والغرف الغنية بالفسيفساء والأردية الذهبية، بين صفوف حرس القصر، يحف به البلاء والقادة حتى يصل إلى عرش الإمبراطور[1].

وقد ضم قصر الإمبراطور وحدات كثيرة فخمة شملت قاعات ضخمة، وغرف فسيحة، وأجنحة للرجال والنساء، وخزائن وثكنات للجند، وغير ذلك من الملحقات، التى ظل الاعتناء بها مستمراً خلال القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى. إضافة إلى مقصورة ضخمة، يتمكن منها الإمبراطور مشاهدة كل ما يجرى في الهيبودروم من مسابقات وعروض بحيث كان هذا القصر مدينة متكاملة تضم خمسة عشر مبنى. ويأتى في مقدمة أبنية هذا القصر الملكى المخصص لإقامة الإمبراطور والإمبراطورة المعروف باسم شالكيه النوميرا "Le chalce Noumera". وتحيط بوحدات هذا القصر جدران مرتفعة تضم حجرات الإمبراطور والإمبراطورة، وحجرات لحاشيتهما من الخصيان[2] والعاملين من رجال ونساء في خدمة القصر الإمبراطورى[3]. ويغطى

العرش الإمبراطورى بينما الملتحون (ذوو اللحى) يقفون مباشرة خلف العرش والطواشى الـ Spathariai يرتبط مباشرة بالـ Cubiculum والـ Koubikoularioi يقفون إلى يمين وشمال العرش. أنظر:

Ringrose, K. M., *The Perfect Servant: Eunuchs and The Social Construction of Gender in Byzantium*, London, 2003 , p. 171.

(1) ليلى عبد الجواد، القسطنطينية، ص ١١٩ ؛ رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٢٢٧-٢٢٨.

(2) كان عدد الخصيان في الإمبراطورية البيزنطية كبير، وقد عبر قسطنطين السابع عن ذلك بقوله: "كان يعج بهم القصر الكبير، مثلما تعج الخطيرة أو الأسطبل بالذباب في فصل الصيف، وقد سعى الأباطرة البيزنطيون دائماً إلى اقتنائهم بكثرة وكانوا يعتبرون من الهدايا الثمينة. انظر:

Guilland, R., "les Eunuques dans l'Empire Byzantin Etude de titulature et de prosopographie Byzantines" , *Revue des Etudes Byzantines* t (1943), p. 97;

وقد سيطر الطواشية "الخصيان" خلال القرن التاسع الميلادى على معظم الوظائف في البلاط الإمبراطورى، ولعبوا دوراً كبيراً في الحياة السياسية والاجتماعية، وظهر دورهم في التنظيم والإشراف على القصر الإمبراطورى، ولا يمكن أن نتحدث عن الإمبراطور والقصر دون الإشارة إلى هؤلاء الطواشية.

Ringrose , *Perfect Servant*, pp. 163-166.

(3) يبدو أن الخصيان كانوا مكلفين بخدمات خاصة داخلية في البلاط البيزنطي منها خدمة المائدة، وخدمة غرفة الإمبراطور، والملابس. أنظر:

Guilland , *les Eunuques* , p. 97;

ويطلق على هذا الطواشى *Protovestiarios* وهو المسئول عن غرفة ملابس الإمبراطور والتي تشمل ملابس الإمبراطور الخاص بالجلوس على المائدة والقناديل والجوارب والأحذية والسيوف وملابس الخدم والعقاقير وكمية كبيرة من الفضة ويشرف الـ *Protovestiarios* على ملابس الإمبراطور، ويحمل أيقونات المسيح المقدسة في الاحتفالات الدينية، ويعطى الإشارة بحضور الإمبراطور في الاحتفالات، ويعطى الإشارة أيضاً بافتتاح الستارة التي

هذا المبنى قبة كبيرة مرتفعة على أربعة أعمدة ضخمة، بينما تغطى قباب صغيرة بقية الوحدات الأخرى[1]. وفي قصر القسطنطينية الكبير كان الإمبراطور فقط يمكن أن يدخل ممتطياً صهوة جواده إلى بوابة شالكيه "Chalké" بينما كان الآخرون يترجلون[2] كذلك كان حال قصر الخليفة الفاطمى، فركوب الخيول كان قاصراً على الخليفة الفاطمى فقط[3]. أما بقية الشخصيات فكانوا ينزلون ويترجلون وهم على الأبواب الخارجية[4].

ولم يكن الخليفة الفاطمى يتنقل على ظهور الخيل ويتجول كما كان الحال بالنسبة للإمبراطور البيزنطي ؛ فقد كان الخليفة يمتطى صهوة جواده في داخل القصر في حالة الخروج الرسمى، وكان ذلك بالقرب من الباب الخارجى[5].

إذن يفهم أنه كان من المراسم ألا يركب أحد في القصر غير الخليفة[6]، وأنه كان للوزير استثناء من هذه القاعدة بسبب مكانته، فينما كان الأمراء يترجلون إذا وصلوا إلى باب القصر، كان له وحده حق الركوب حتى يصل إلى أول باب من الأروقة الطويلة "الدهاليز

تحجب الإمبراطور عن الناس، ويتسلم رداء الإمبراطور الذي سيرتديه، وهو الشخص الوحيد المسموح له بلمس الملابس الإمبراطورية بدون استئذان وعلامته (شعاره) الرسمى عصا ذهبية. لمزيد من التفاصيل أنظر:
Ringrose , *Perfect Servant*, p. 169.

(1) نجلاء مصطفي، مدينة القسطنطينية، ص ١٩٨.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 363.

بوابة شالكيه Chalke تمثل جزءا من المدخل الرئيسى المؤدى إلى قصر القسطنطينية الكبير، وقد سميت كذلك بسبب قمتها وبابيها البرونزية .
Mango,C., 'Chalke' , *The Oxford Dictionary of Byzantium* , I, pp.405-6.

صور فيلهاردوان حظر امتطاء الجياد لغير الإمبراطور فيما بعد مدخل القصر فى حديثه عن سفارة ضمت ثلاثة من الأمراء الصليبيين لمقابلة الإمبراطور ألكسيوس الرابع، حيث امتطوا جيادهم، فلما بلغوا بوابة مدخل القصر ترجلوا وعبروها إلى داخل القصر. فيلهاردوان، فتح القسطنطينية، ترجمة حسن حبشى،جدة،١٩٨٢م، ص١١٥.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٤.

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٧-٤٤٧. أنظر ايضاً:
Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 363.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٤-١٥٥. أنظر أيضاً:
Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 363-364.

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٧.

الطوال"[١]، فيقف عند رواق يعرف : "بدهليز العمود"، ومنه يمشى ومعه حاشيته إلى مكانه المعروف" بمقطع الوزارة"[٢] بقاعة الذهب[٣].

وإذا انتقلنا بالحديث عن العمل في البلاط الفاطمى، فالملاحظ أنه كان موزعاً بين عدد من الأماكن تعرف "بالخزائن". وقد وصف المقريزى هذه الخزائن بقوله : "إنها قاعات كبيرة، توجد بداخل القصر الكبير أو بخارجه وتستخدم إما في خزن البضائع، أو في وضع الأشياء[٤]. ومن هذه الخزائن : خزانة الكتب[٥]، خزانة الكسوات[٦]، خزانة الشراب[٧]، خزانة السروج[٨]، خزانة الفرش والأمتعة[٩]، خزانة السلاح[١٠]، خزانة التجمل[١١]، خزانة الخيام[١]، خزائن الجوهر والطيب والطرائف[٢].

---

(1) الدهاليز الطوال: هى دون شك ما أسماه وليم أسقف صور، "دهاليز طويلة وضيقة مقببه حالكة الظلام، لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئاً". ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٣، ١٥٤ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٨ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٦.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٨، ١٦١، ١٦٢.

(3) المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٢٨؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ص ١٨٢، ٢٠٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ . أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، ص ١١٤.

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٧ – ٤٠٩ ؛ انظر أيضاً: ماجد، رسوم الفاطميين، ص ١٢-١٣.

(5) عن خزانة الكتب انظر: المسبحى، نصوص ضائعة، ص ١٧ ؛ الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، ص ٢٦٢ ؛ أبو شامة، الروضتين، جـ١، ص ٥٠٧-٥٠٨ ؛ ابن واصل، مفرج الكروب، جـ١، ص ٢٠٣ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٦٧، جـ٣، ص ٤٧١، ٤٧٢، انظر أيضاً: زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ٢٧-٣٤.

(6) المقريزى، مسودة كتاب المواعظ والاعتبار، ص ١٥٤-١٥٥.

(7) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٩٠ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٦ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٢٠ ؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص ١٢٣-١٢٤.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٣١-١٣٢ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣١٨ . أنظر أيضا: زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ٥٩.

(9) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٣٣ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤١٦-٤١٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٧، انظر أيضاً: زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ٥٢.

(10) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٣٤ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤١٧-٤١٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٧ ؛ المقريزى، مسودة كتاب المواعظ والاعتبار، ص ١٥٣ – ١٥٤.

(11) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٣٥.

ويبـــدو أن كثيراً من هذه المنشآت لها مثيلها في القصر الكبيـــر فـــي الإمبراطوريـــة البيزنطية[٣]. ورغم التنوع والتعقيد لهذه المؤسسات الداخلية في قصر الخلافة الفاطميـــة، فإننـــا يمكن مقارنتها بـــ إيـــديكون *Idikon*[٤] الفـــستياريون *Vestiarion*[٥]، وكـــذلك الأرمـــامنتون *Armamenton*[٦] وبعض المؤسسات الخدمية الأخرى في بلاط القسطنطينية ففـــي كـــل هـــذه المؤسسات كان يعمل جمع غفير من الموظفين من الرجال والنساء والخـــصيان يـــشرف علـــيهم المديريون ويراقبون من قبل المفتشين[٧]. وعلى هذا كان رئيس الخياطين في خزانـــة الكـــسوة يطلق عليه "المقصدار"، والذى كان تحت إمرته عدد من الخيـــاطين التـــابعين لـــه والخاضـــعين لمشيئته، هذا في خزانة الكسوة كما سبق وأن ذكرنا.

---

(1) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤١٨-٤١٩ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٧٥ ؛ انظر أيضاً: ماجـــد، نظم الفاطميين، ص ٢٢.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٨٩-٩٠ ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤١٤-٤١٥.

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 364.

(4) ايديكون عند لوى برييه Bréhier هى الثروة والكنوز التي يمتلكها الإمبراطور والتي تـــرتبط بمنـــصبه، وهـــى تختلف تماماً عن النفقات الشهرية للإمبراطور. وكانت *IDIKON* تحوى أيـــضاً الأشـــياء الثمينـــة، والعمـــلات الذهبية، وكل المتطلبات الضرورية اللازمة للحملات العسكرية وتـــدبير مـــصاريفها. وكـــان رئيـــسها يـــسمى *EIDIKOS* ويحتل المرتبة الثانية والخمسين في قائمة التشريفات البيزنطية، ويـــصدر الإمبراطـــور البيزنطـــي مرسوماً بتعيينه. أنظر:

Bréhier, L., *Le monde Byzatin*, II, *Les institutions de L'Empire Byzantin*, Paris, 1949, p. 267.

وانظر أيضاً: Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 365.

(5) الفستياريون كان القائم عليها مختص لملابس الإمبراطور البيزنطي، إذ أن الإمبراطور آنذاك كان لديـــه عـــدد لا يحصى من الملابس والحلل سواء هو أو كبار موظفيه. وكان المكلف بملابس الإمبراطور يحمل رتبـــة قـــومس ويسمى *Comes Sacrarum Largitionum*.

انظر: Bréhier, *le monde byantin*, p. 130.

(6) والجدير بالذكر أنه كان هناك شخص مكلف بحراسة الأسلحة في خزانة السلاح ويسمى هذا المكان *Armamenton*، أما الشخص المكلف بذلك فيسمى فستياريوم الخاص اي خاص بأسلحة الإمبراطور علماً بأن هناك أيضاً فستياريوم عام. وخزانة السلاح هنا تساوى خزانة السلاح عند الفاطميين.

Bréhier, *le monde byantin*, p. 148 ; Kazhdan, A., 'Armamenton', The *Oxford Dictionary of Byzantium* , I,pp.174-175.

(7) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 365.

وقد تطلب القيام بأعمال البلاط الفاطمى وجود عدد كبير من الأشخاص، فيقال إنه كـــان يوجد ثلاثون ألف شخص[١] يقومون بالأعمال المختلفة. ولا يعرف أحد عدد النساء والجوارى، إذ كان البلاط يعج بأصناف عديدة من الموظفين : موظفين خصوصيين يقومون بخدمـــة الخليفـــة ؛ وموظفين من أرباب السيوف والأقلام، وموظفين من أديان مختلفة، وموظفين من الجنسين، حيث كان عدد كبير من النساء في البلاط يعرفن "بالمستخدمات" وعبيد وخصيان من كل جنس ولون[٢].

ووجد في البلاط الفاطمى – كما في بلاط جميع دول العصور الوسطى – فرقـــة مـــن العبيد البيض والسود على السواء، خصيان وغير خصيان، أغلبهـــا مـــن أصـــل أجنبـــى مـــن "الصقالبة"[٣]، لها نفوذ كبير تحمل لقب "أستاذين"[٤].

هكذا كانت الخدمة في القصر الفاطمى، كالقصر الكبير في الإمبراطورية البيزنطية الذى يعتبر مركز الحكم والإدارة فقد تضمن موظفين من كل نوع[٥]. ويمكننا الترجيح بأن هناك تشابهاً بين نوعى الموظفين في البلاط البيزنطي. على أية حال، ففي الخدمات الخاصة للخليفة وجدنا – كما هو الحال في الإمبراطورية البيزنطية – عدداً كبيراً من الخصيان اي الطواشية. وكان هؤلاء الخصيان من أقرب الخدم لسيدهم، وبإمكانهم الوصول إلى أعلى المراتب والمناصب[٦].

---

(1) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٩٦–٤٩٧. أنظر أيضاً: ماجد، نظم الفاطميين، جـــ٢، ص ١٠. وهو رقم مبالغ فيه.

(2) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤١١. أنظر أيضاً: ماجد، نظم الفاطميين، جـــ٢، ص ١٠–١١.

(3) "الصقالبة" جنس من جنوب أوربا، يجلب منهم الخدام، سموا بهذا الاسم لأن معظمهم كـــان ينتـــسب إلـــى قبائـــل السلاف، وكانت تنطق في أسبانيا – موطنهم الأصلى – "سكلاف" فعربها العرب إلى "صقلبى" وأصبح اللفظ يدل على الرقيق الأبيض بصفة عامة. المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٤١ ؛ انظر أيضاً: ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـــ٤، ص ٨٧.

(4) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤١١. أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـــ٢، ص ١٠–١٢.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٠٥–١٠٦، ١٢٠–١٢٥ . أنظر أيضا:
Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 365.

(6) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 366-367.

هذا التعقيد في القيام بأعمال البلاط لم يُعرف في مصر من قبل، كما أنه لم يستتن فجأة بمجئ الفاطميين، ولكنه جاء نتيجة لتطور بطئ خلال حكمهم في مصر ؛ وأصبح أساس تنظيم البلاط في عهد سلاطين المماليك[1].

ونظرا إلى أن القصرين الفاطمي والبيزنطي كانا يعجان بمئات من الموظفين، الذين كان معظمهم يشكل الجزء الرئيسي في أداء المراسم، فإنه بالإمكان عقد مقارنة بين أسماء وألقاب ووظائف هؤلاء في البلاط الفاطمى وبلاط الإمبراطور البيزنطي على السواء، من أجل توضيح أوجه الاختلاف والاتفاق [2].

اما عن وظائف خواص الخليفة من الأستاذين، وهى عدة وظائف أيضاً وعلى ضربين : الضرب الأول : ما يختص بالأستاذين المحنكين ؛ وهى تسع وظائف أيضاً

الأولى "شد التاج"[3] ويتولى صاحبها شد تاج الخليفة الذى يلبسه في المواكب العظيمة، وله ميزة على غيره بلمسه التاج الذى يعلو رأس الخليفة، وكان لشده عندهم ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يأتى به في هيئة مستطيلة، ويكون شده بمنديل[4] من لون لبس الخليفة، ويعبر عن هذه الشدة "بشدة الوقار"[5] أو "العربية"[6]، ثم يحضر إليه "اليتيمة"[7]، وهى جوهرة عظيمة لا

---

(1) ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١٢.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 366.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٥-١٥٦ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٤١ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣.

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 28.

المقريزى، مسودة كتاب المواعظ والاعتبار، ص ١٩٧.

(4) "المنديل" آلة قديمة للمملوك، فقد حكى أنه كان للوزير الأفضل بن بدر الجمالى مائة بدلة معلقة على أوتاد من ذهب، على كل بدلة منها منديل من لونها. لمزيد من التفاصيل انظر ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٥.

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 28.

(5) "شدة الوقار" هى التاج يركب به الخليفة في المواكب العظام، وكان لشده ترتيب خاص لا يعرفه كل أحد، يتولاه أحد الأستاذين المحنكين. ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٤١، ٧٥.

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٤.

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 28.

(7) ذكر صاحب "الذخائر والتحف" درة أخرى معروفة باليتيمة كانت عند مسلم بن عبد الله العراقى وباعها إلى الخليفة الرشيد العباسى بسبعين ألف دينار. انظر ابن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، الكويت ١٩٥٩م، ص ١٧٧ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٦.

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 28.

يعرف لها قيمة، فتنتظم هى وحواليها دونها من الجواهر[1]، وهى موضوعة في "الحـــافر"، وهـــو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال في الدنيا[2]، فينظم على خرقة حرير في أحسن وضع فيخيطها شاد التاج بخياطة خفية ممكنة فتكون بأعلا جبهة الخليفة. ويقال إن زنة الجوهرة ســبعة دراهم، وزنة الحافر أحد عشر مثقالاً وبدائرها قصب زمرد ذبابى له قدر عظيم[3].

الثانية : وظيفة صاحب المجلس"[4] وهو الذى يتولى الإشراف على نظام جلوس الخليفة الرسمى في القصر، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يُعلمهـــم بذلك وينعت "بأمين الملك"[5].

والثالثة : وظيفة "صاحب الرسالة"[6] وهو الذى يخرج برسالة الخليفـــة إلـــى الـــوزير وغيره[7].

والرابعة : وظيفة "زمام القصور"[8] وهو بمثابة زمام الدور.

والخامسة : وظيفة "صاحب بيت المال"[9] وهو بمثابة الخازندار[10].

والسادسة : وظيفة "صاحب الدفتر"[11] المعروف بدفتر المجلس، وهو المتحـــدث علـــى الدواوين الجامعة لأمور الخلافة[12].

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٦٨.

(2) انتقل "الفص الحافر"، وهو من ياقوت أحمر وزنه سبعة دراهم، إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من بنى العباس. ابن الزبير، الذخائر والتحف، ص ١٩٣.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٦٨، ٤٦٩.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ١٦٢، ٢٠٧.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٧ ؛ القلقشندى جـ٣، ص ٤٨٤-٤٨٥.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٦.

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤.

(8) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦، ٤٠١ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥.

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 34.

(9) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ١٥٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨.

Sanders, *Court Ceremonial* , p. 34.

(10) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٤، ١٧٢.

(11) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥.

(12) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ٢١٠.

أما السابعة : فهى وظيفة "حامل الدواة" وهى دواة الخليفة، وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة المذكورة قدامه على السرج، ويسير بها في المواكب[1].

والثامنة : وظيفة "زم الأقارب"[2] وصاحبها يحكم على طائفة الأشراف الذين هم أقارب الخليفة وكلمته نافذة فيهم.

والتاسعة : "زم الرجال" وهو الذى يتولى أمر طعام الخليفة ويقابل ذلك عند المقريزى وظيفة "صاحب المائدة"[3].

وإذا انتقلنا إلى الصنف الثانى من أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أرباب الأقلام، وهو على ثلاثة أنواع :

الأولى : أرباب الوظائف الدينية، والمشهور منهم ستة :

"قاضى القضاة" وهو عندهم من أجل أرباب الوظائف وأعلاهم شأناً وأرفعهم قدراً[4].

"داعى الدعاة" يلى قاضى القضاة في الرتبة ويتزيا بزيه في اللباس وغيره[5].

"المحتسب" وهو من وجوه العدول وأعيانهم[6]، وقد كانت "وكالة بيت المال" لا تسند إلا لذوى الهيبة من شيوخ العدول[7].

والنائب اي "صاحب الباب" ورتبته تلى رتبة الوزير. وكان له أن يرأس مجلس "النظر في المظالم" ويقوم مقام الخليفة في استلام "قصص المتظلمين[8].

و "القراء" الذين يقرأون بحضرة الخليفة في مجالسه وركوبه في المواكب وغير ذلك[1].

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦١، ١٦٤ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٩ ؛ القلقشندى، جـ٣، ص ٤٧٢.

(2) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٣٤.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٣٤، ٨٥، ١٤٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٢.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٩، ١٠٧.

(5) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٧٥ وما بعدها.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١١٥ وما بعدها.

(7) لمزيد من التفاصيل عن هذه الوظائف انظر: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٦-٤٨٧. انظر أيضاً: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٠٨.

(8) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٢ – ٤٠٣ . أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٢٨.

أما النوع الثانى من أرباب الأقلام، فهم أصحاب الوظائف الديوانية[٢]. والهدف من ذكر وظائف البلاط الفاطمى بالتفصيل لكى نوضح أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين وظائف البلاط البيزنطي.

على أية حال، فإن هؤلاء العاملين في البلاط الفاطمى، لهم ما يقابلهم أو يماثلهم تماماً في بلاط الإمبراطورية البيزنطية في القسطنطينية، وفي مختلف جهات الإمبراطورية البيزنطية فالوزير يقابله في البلاط البيزنطي اللغثيت[٣] *Logothetes* .

وفيما يتعلق بصاحب الباب، فهو حاجب على مستوى وقدر رفيع تحت أمرته حجاب، ويأتى في المرتبة الثانية بعد الوزير، اي أنه ثانى رتبة في الوزارة، فهو وزير صغير، ويقال لوزارته "الوزارة الصغرى". ومن وظائفه النظر في المظالم إذا لم يكن وزير صاحب سيف، فإن

---

[1] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١١٩ وما بعدها.

[2] عن هذه الوظائف انظر ابن الطوير، نزهة، ص ٣٥.

[3] Canard, *Le Cérémonial Fatimite*, p. 370 والـ *Logothetes* تعنى المستشار و *Megas Logothetes* المستشار الأعظم. انظر رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص ٤٠١ ؛ لغثيت الدروم *Logothete Tou Dromou* الذي تطور وارتقى، وهو لقب الموظف المسئول عن إدارة البريد الحكومى. وقد تولى صاحبه منذ القرن الثامن الميلادى معظم الاختصاصات المتعددة لرئيس دواوين الحكومة المركزية وخاصة ديوان العلاقات الخارجية والشئون الدبلوماسية المسئول عن مراسلات الدولة الخارجية ومراسم استقبال السفراء الأجانب، وكان لغثيت الدروم قبل ارتقائه مرؤوساً لرئيس دواوين الحكومة وإذا كان لغثيت الدروم قد تمتع باختصاصات مركزية عديدة ونفوذ كبير في العصر البيزنطي الأوسط، فإنه سرعان ما فقد اختصاصاته وأصبح منذ نهاية القرن الحادى عشر الميلادى مجرد لقب شرفي بلا مضمون. وفي نفس الوقت ارتفع شأن لقب *Logothetes ton Sekreton* وهو لقب جديد استحدثه الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنينوس Alexius I (١٠٨١ –١١١٨م) لمنصب رفيع الشأن تولى صاحبه لفترة زمنية معينة صلاحية الإشراف على الحكومة المركزية والتنسيق بين إداراتها المختلفة ومراقبة أدائها. ومنذ نهاية القرن الثانى عشر الميلادى أصبح لقب هذا المنصب المهم هو اللغثيت العظيم *Megas Logothetes* . انظر وسام عبد العزيز فرج: بيزنطة قراءة في التاريخ السياسى والإدارى، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ٤٤ – ٤٥.

Kazhdan , A., 'Logothetes' , *The Oxford Dictionary of Byzantium* , II , p.1247 ; Guilland , R., 'Les Logothètes', *Revue des études byzantines* 29(1971) , pp.5-10 ; Miller , D.A., 'The Logothete of the Drome in the Middle Byzantine Period : The Corps of Interpreters', *Byzantinische Zeitschrift* 36(1966), pp.449-58; Bury , J.B., *The Imperial Administrative System in the 9th Century*, London, 1911,pp.90-93.

كان فهو الذى يجلس للمظالم بنفسه. وصاحب من جملة من يقف في خدمته[1]، ويقوم بإدخال وتقديم أصحاب الرتبة العالية للمثول أمام الخليفة في اليومين المخصصين لذلك من كل أسبوع، ويرتبهم على مقاديرهم وذلك قبل رفع الستار. كذلك يقوم بإدخال السفراء والمبعوثين[2]. كما أشرنا سابقاً في رواية وليم الصورى. ويمكن مقارنته ببريبوزيتوس الجناح الإمبراطورى Praepositos Sacri Cubiculi[3] في البلاط البيزنطي. إلا أن هذا الشخص لابد أن يكون من بين الطواشية، وكذلك يمكن مقارنته برئيس المراسم Magisteros tes Cérémonies الذى كان من بين وظائفه هو أيضاً، مهمة ترتيب كبار موظفي الإمبراطورية وإدخالهم للإمبراطور كل حسب مقامه. كذلك كان حالهم مع الموظفين كل حسب درجته. وكان يقوم بإدخال السفراء لكن في ظروف مغايرة إلى حد ما. ففي بلاط القاهرة لا يوجد عملية الإدخال المتتابعة[4].

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٢ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٩٩ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٣.

(2) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٢-٤٠٣ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٣.

(3) كانت هناك عدة وظائف رفيعة في القصر، ارتبط أصحابها بشخص الإمبراطور بحكم طبيعة عملهم مثل منصب *Praepositus Sacri Cubiculi*، ويعنى حرفيا "بريبوزيتوس الجناح الإمبراطورى الأكثر قداسة"، أو كبير الحجاب، والمعروف أن هذه الوظيفة لهذا اللقب ظهرت في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦ – ٣٣٧م)، ولكن اختصاصاتها كانت موجودة قبل عهد دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م)، وكان يتولاها حاجب يحمل لقب كوبيكولو *Cubiculo*. وابتداء من عهد قسطنطين ارتفع شأن كبير الحجاب حتى أصبح من أرفع المناصب في القصر رغم أن شاغله كان من الخصيان. وفي البداية كانت اختصاصات هذه الوظيفة إدارة أقسام الخدمة المختلفة والإشراف على العدد الكبير من الحجاب العاملين في القصر فضلا عن خدمة الإمبراطور شخصياً. لقد تمتع شاغل هذه الوظيفة بنفوذ كبير وصلاحيات واسعة ليس بسبب أهمية المسئوليات التي تولاها ولكن بسبب ملازمته للإمبراطور وتملقه ومداهنته ، وكان كبار موظفي الحكومة يخشونه لقربه من أذن الإمبراطور وتأثيره الشخصى عليه، وإن كانوا يكنون الكراهية له لأنه نافسهم وتدخل في شئونهم. وقد تحول هذا اللقب في أواخر القرن السابع الميلادى إلى مجرد لقب من الألقاب الشرفية. وفي نفس الوقت ارتفع شأن حاجب آخر كان مرؤوساً له ومسئولاً عن غرفة نوم الإمبراطور ويحمل لقب البراكويمومنوس *Parakoimomenos*، وانتقلت اختصاصات كبير الحجاب إلى تابعه البراكويمومنوس الذي ازداد نفوذه بشكل واضح في العصر البيزنطي الأوسط، وفي العصر البيزنطي الأخير فقد هذا اللقب اختصاصاته ثم اختفي ضمن الألقاب الشرفية. وسام عبد العزيز، بيزنطة، ص ٤٢، ٤٧.
Bury , *Administrative System* , pp.123-124.

(4) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 371.

ومع ذلك فيوجد موظف آخر سنتحدث عنه فيما بعد كان يتحمل جزءاً من عمل البريبوزيتوس[1] *Prépositos* لرفع الستار، كان البريبوزيتوس رئيس القوبيقولايرات *Koubikoulares*[2] اي رئيس الخصيان، خصيان حجرة الإمبراطور. ففي الاحتفالات الرسمية كان دوره قائماً على وجه الخصوص على نقل أوامر الإمبراطور البيزنطي إلى رؤساء المراسم. وكان هناك خصيان مهمتهم رفع الستار، وإدخال كبار الموظفين كل حسب رتبته ومقامه[3].

---

(1) كان البريبوزيتوس رئيس طبقة الخدام الطواشية، ومن مهامه المسائل المالية والإدارية، وشعاره لوحة عاجية غير منقوشة يسلمها له الإمبراطور، وكان يعمل كعين وصوت للإمبراطور، لمزيد من التفاصيل انظر: Ringrose , *Perfect Servant*,, p. 168.

(2) كانت ألقاب الطواشي تكتسب إما بجريان العادة، أو كمنحة إمبراطورية، وهذه الألقاب تنقل بسهولة من شخص إلى آخر بالوعد الإمبراطورى، وتنقسم الألقاب التي منحت للطواشي بالشعار إلى ثمانية. اللقب الأول هو "نيبزيستاريوس" *Nipsistarios* وشعاره عبارة عن كاميزيون *Kamision* من الكتان عليه بلايتون ملتصقة به واللقب الثاني هو "قوبيقولاريوس" *Koubikoularios* وشعاره زى الكاميزيون مزخرفة حول البلايتا والملابس المسماه باراجوديون معروفة لأننا نرتديها في حضور المعاونين البريبوزيتوس واللقب الثالث هو إسباثاروقوبيقولاريوس" *Spatharocubicularios* وشعاره سيف يسلمه الإمبراطور بيده بنفس الطريقة التي يسلمه بها للاسباثاريوس، واللقب الرابع هو لقب الأوستيار" d'Ostiaire وشعاره عصا ذهبية بمقبض مزين بالأحجار الكريمة يسلمها الإمبراطور بيده واللقب الخامس هو "البريمسيير" Primicier وشعاره ثوب أبيض بكتافات صغيرة ومزخرف بالذهب، يتم ارتداوه باحتفال، واللقب السادس (لطواشيهم" البروتوسباثاريوس *Protospatharios*، وشعارهم قلادة من الذهب مرصعة بالأحجار الكريمة وباللآلئ يضعها الإمبراطور بيديه حول الرقبة ويغلقها (يقفلها)، يرتدون ثوباً أبيض مقصب بالذهب ومعطفاً أحمر بصديرية مقصب بالذهب، أما اللقب السابع فهو البريبوزيتوس *Prépositos* وشعاره ملابس بطريق بدون ملحقات ويسلمه الإمبراطور من خلال موكب في الكريزوتريكلينوس *Chrysotriklinos* واللقب الثامن والأخير لطواشيهم "بطارقة" Patrikes وشعارهم زيهم أوحُلتهم لا تختلف عن زى البروتوسباثايرات *Protospatharioi* أما فيما يتعلق بالألقاب التي منحت للطواشية بناء على وعد إمبراطورى فهى تسعة ألقاب رئيسية: الأول باراكويمومينوس الإمبراطور" *Parakoimoménos* والثانى "بروتوفيستاريوس الإمبراطور "*Protovestarios* والثالث "بريبوزيس (ياور) مائدة الإمبراطور Le prépose والرابع ياور مائدة الإمبراطورة والخامس حاجب القصر الكبير، والسادس دويتروس Le deutéros القصر الكبير والسابع بينسيرن الإمبراطور Le pincerne والثامن بينسيرن الإمبراطورة والتاسع بابياس الماجنورا Le papias de Magnaura والعاشر حاجب الدافنيه le papias de Daphné أنظر:

Guilland, *les Eunuques*, pp. 123-124, 126,128,130,134; Bury , *Administrative System* , pp.120ff.

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 372.

وإذا انتقلنا إلى حاملى سيف الخليفة الفاطمى وحاملى رمحه وبقية أسلحته[1]، فيقابل هذه الوظائف في الإمبراطورية البيزنطية وظيفة الاسباثاريوس *Spatharios* الذى كان في موكب الإمبراطور يحمل الأسلحة التالية : الرمح والسيف والترس[2].

وهناك أمير يقال له سنان الدولة الكركندى يقوم بتأمين القصر وحراسته، ومعه جنود سود عددهم خمسمائة راجل، وخمسمائة فارس[3]، ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارساً[4]، عملهم الطواف حول أسوار القصر طوال الليل، فإذا أذن العشاء داخل قاعة الذهب وصلى الإمام بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم، وقف على باب القصر سنان الدولة[5] ؛ فإذا علم بفراغ الصلاة، أمر بنفخ البوق ودق الطبول والصنوج بطريقة مستحسنة لمدة ساعة كاملة[6]، ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برسم هذه الخدمة ليحيه من قبل الخليفة فيقول : "أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام" فيغرز سنان الدولة حربة على الباب ثم يرفعها بيده، فإذا رفعها أغلق باب القصر، ودار حول القصر سبع دورات، فإذا انتهى ذلك جعل على الباب البوابين والفراشين، وينصرف المؤذنون إلى خزانتهم ثم ترمى السلسلة التى تقطع المرور بين القصرين الصغير والكبير، ولا يسمح لأحد بالمرور من ذلك المكان، ولا ترفع هذه السلسلة إلا عند الفجر على نغمة البوق ويعود الناس مرة ثانية للمرور من هذا المكان[7].

---

(1) انظر ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٩.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 368, n. 2, 372.

(3) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ١٠٤.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٠ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٦٢.

(5) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٦٢ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٢٢.

(6) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٠٤.

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٠ – ٢١١ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٦٢ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٢٢-٥٢٣.

ويبدو أن هذا الموظف له نفس مهام الـ دورنجاريوس الفيجلا[1] Droungarios Tes Viglas إلا أن مهام الدرونجاريوس الوظيفية أقل بكثير، خاصة في بعض الميادين العسكرية منها والمدنية[2].أما فيما يتعلق ببقية الوظائف في البلاط الفاطمى، فلا يوجد تشابه لها في بيزنطة التى لا تعرف على سبيل المثال "حاملى المظلة"[3] ويمكننا تشبيه وظيفته "الأسفهسلار"[4] بوظيفة دمستق الاسكولاي[5] *Domestikos Ton Scholon* خاصة عندما أصبح دمستق الاسكولاى من القرن العاشر الميلادى قائداً عاماً[6]. وكانت مهامه تشبه مهام الشرطة في الاحتفالات وبعض

---

(1) كان درونجاريوس الفيجلا قائداً لإحدى فرق الحرس الإمبراطورى، و المسماه "أرثيموس" Arithmos، وتضم ألف مقاتل ومكلفة بحراسة أسوار القصر الإمبراطورى من الخارج، وتمثلت مهمته الرئيسية فى حراسة الإمبراطور فى الحملات العسكرية وفى قصره، ولذلك كان درونجير الفيجلا شخصا ذو حظوة وثقة لدى الإمبراطور، وغالبا ما كان يتم اختياره من بين النبلاء وأفراد العائلات الأرستقراطية البارزة . وقد أطلقت المصادر الجغرافية العربية على الدرونجير اسم "طرنجار"، وهو قائد ألف عندهم أيضا.

انظر: Bréhier, *le monde byantin*, p. 232; Kazhdan , A., 'Droungarios Tes Viglas', *The Oxford Dictionary of Byzantium* , I, p.663.

طارق منصور، الجيش فى الإمبراطورية البيزنطية من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع الميلادى، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب ببنها، جامعة الزقازيق، ١٩٩٣م، ص١٧٦-١٧٧.

(2) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 373.

(3) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 373.

(4) صاحبها زمام كل زمام، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم، انظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٣، ١٥٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٩.

(5) كانت فرقة الاسكولاى واحدة من فرق الحراسة الإمبراطورية الرئيسية الأربع، والأعلى مقاما، ومن المحتمل الأقدم أيضا، وكانت هذه الفرقة خاضعة فى البداية لإمرة رئيس الديوان الذى كان يختار لنفسه دمستقا ويفوضه فى قيادة هذه الفرقة، ومع الغاء وظيفة رئيس الديوان صار دمستق الاسكولاى قائدا مطلقا لها منذ القرن التاسع الميلادى، وصار يحتل فى نهاية ذات القرن المرتبة الخامسة بين موظفى الدولة من حيث المكانة وعلو الشأن، وصار تعيينه يتم من قبل الأباطرة أنفسهم . لمزيد من التفاصيل أنظر :

Kazhdan , A., 'Domestikos Ton Scholon', *The Oxford Dictionary of Byzantium* , I, pp.647-8 ; Bury , *Administrative System* , pp.49-57.

طارق منصور، الجيش، ص١٧٥-١٨٣ ؛ فايز نجيب اسكندر، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد (١٠٧١م / ٤٦٣هـ) في مصنف نقفور بريينيوس دراسة مقارنة للمصادر، الاسكندرية، ١٩٨٤م، ص ٨، ٢٨. انظر أيضاً: ابن حوقل، صورة الأرض، القاهرة، دار الكتاب الاسلامى د.ت، ص ١٧٨.

(6) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 373.

المهام القضائية، ويؤكد ذلك قول القلقشندى. "وفي خدمته وخدمة صاحب الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاتهم"[1].

وجدير بالذكر أن وظائف "خواص الخليفة" كان يشغلها عادة الخصيان كما هو الحال في الإمبراطورية البيزنطية ؛ حيث نجد بعض التشابه والتماثل بين وظائف حاشية الخليفة اي خواصه من الأستاذين وهى عدة وظائف على قسمين :

الأول ما يختص بالأستاذين المحنكين، وهى "شد التاج"[2]. وقد سبق أن ذكرنا هذه الوظيفة ولابد أن يكون شاغلها من الخصيان "الطواشية" كما هو الحال في الإمبراطورية البيزنطية، فالموظف الذى يضع التاج على رأس الإمبراطور البيزنطي – كما أوضح كتاب المراسم *De Ceremonies* – كان من الخصيان، وبناء على ما تقدم كان يحرم على الرجل الملتحى رؤية رأس الإمبراطور البيزنطي عارية[3]، وكان يقوم بهذه المهام في بيزنطة رئيس الخصيان ويطلق عليه بريبوزيتوس الجناح الإمبراطورى [4] Praepositos Sacri Cubiculi هذا الخصى أحد أقرب المقربين إلى الإمبراطور البيزنطي، وكانت مهام وظيفته تتشابه مع وظيفة "شد التاج" عند الفاطميين، إلا أن الموظف المختص بوظيفة "شد التاج" كانت مهامه الوظيفية أقل من مهام البريبوزيتوس[5] Prepositos.

أما "صاحب المجلس"[6] الذى كان يطلق عليه أيضاً "صاحب السرير" ويسمى أيضاً "متولى الستر"[7] وكانت له مهام وظيفية تذكرنا بمهام البريبوزيتوس Prepositos الوظيفية

---

(1) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٣ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٣.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٥ وما بعدها ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٢٠ ؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٨ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ٤٨٤.

(3) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 374.

(4) كان رئيس خصيان غرفة نوم الإمبراطور البيزنطي. وفي الاحتفالات الرسمية، كانت مهامه قاصرة – على وجه الخصوص – على نقل أوامر الإمبراطور إلى رؤساء مراسم البلاط البيزنطي. للتفاصيل انظر:
Bréher, *Le monde byantin* , pp. 68-69, 130, 132, 158, 187.

(5) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 374.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ١٦٢ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦، ٤٠١ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥.

(7) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥١، ٧٦.

وتقاربها ؛ وكان "صاحب المجلس" يتولى أمر المجلس الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام في المواكب، ويخرج إلى الوزير والأمراء بعد جلوس الخليفة على سرير الملك يُعلمهم بذلك، وينعت "بأمين الملك"[١]، وكان يصدر أمره إلى اثنين من الخصيان (الطواشية) بإزاحة الستار الذى يحجب الخليفة عن الظهور[٢].

أما في الإمبراطورية البيزنطية، فكان البريبوزيتوس Prepositos، يقوم بمهام رفع الستار عن الإمبراطور البيزنطي، اي أنه كان يقوم بمهام هذين الخصيين[٣].

يأتى في المرتبة الثالثة في سلسلة وظائف خواص الخليفة من الأستاذين وظيفة "صاحب الرسالة"[٤] وهو الذى يخرج برسالة الخليفة إلى الوزير وغيره[٥]، ويبدو أنه كان تحت إمرته "نقباء الرسالة"[٦]، إذ يتضح ذلك من خلال مراسم الاحتفال بالمولد النبوى الشريف[٧]. وكما سبق أن ذكرنا، كان "صاحب الرسالة" مكلفاً بحمل رسائل الخليفة إلى الوزير وخاصة في أيام الاستقبالات[٨].

على أية حال نستطيع أن نقارن وظيفة "صاحب الرسالة" بـ وظيفة البابياس[٩] Papias حاجب قصر الإمبراطور البيزنطي، إذ يأمره الإمبراطور البيزنطي باستدعاء اللغثيت

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥. أنظر أيضا: حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، ١٩٦٥م، جـ١، ص ٢٨٧.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٢ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٩.

(3) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 375.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٣، ١٧٩، ٢٠٦، ٢١٠.

(5) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٣٨٥.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٨، ٢٢٤.

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٧ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٣ ؛ اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص ١٠١.

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٧٣، ١٧٩، ٢٠٦ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦، ٤٤٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥، ٤٩٩، ٥٠٤.

(9) بابياس Papias اي حارس باب القصر الإمبراطورى. ويرى البعض أن الكلمة مشتقة من كلمة "باب" العربية. إلا أن العالم الفرنسى ماريوس كانار الذي كان يدرس في جامعة الجزائر ويتقن العربية، فند القول فـ بابياس لا تتفق مع كلمة "بواب" وهو على حق في ذلك انظر:

Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 375, n. 3

Logothetes إلا أن مهام البابياس Papias "اي حاجب القصر" تتفق مع المهام الأخرى التى يقوم بها "صاحب الرسالة"(١).

أما "صاحب بيت المال" و "صاحب زمام القصور" فكانا يقومان برفع الستار عن الخليفة بعد أن يصدر إليهما الأمر بذلك "صاحب المجلس" و "صاحب بيت المال" الذى كان بمثابة خازندار في عصر سلاطين المماليك"(٢). ويتضح ذلك من خلال الاحتفال بالمولد النبوى الشريف. فعندما كان يصل موكب القاضى أمام القصر، يخرج "صاحب بيت المال" حاملاً معه خزانة تحوى النقود المخصصة للتوزيع(٣).

ويبدو أن هذه تعد من مهامه الوظيفية الإضافية. وعلى هذا تتفق مع وظيفة الـ أرجير Argyre(٤) في الإمبراطورية البيزنطية اي "متولى الصدقات"(٥).

إلا أنه يلاحظ أن مهام توزيع النقود التى كان يقوم بها صاحب بيت المال، كان يقوم به أيضاً "متولى خزانة الانفاق" ؛ فقد أشار إليه المقريزى بقوله : "إنه في عيد الفطر إذ كان يحمل كيس نقود مملوء بالدنانير، مخصصة للذين يأتون طلباً للحسنة والمال"(٦). كذلك كان لصاحب بيت المال سلطات ومهام أخرى فى شهر رمضان المبارك، وخلال أيام الجمع الثلاثة، كان مكلفاً بوضع الأسمطة والستائر في محراب مسجد الخليفة الفاطمى(٧) ؛ كذلك كان الحال في المصلى في الهواء الطلق عقب عيد الفطر المبارك وعيد الأضحى المبارك(٨).

---

(1) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 375.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ١٥٤، ١٧٢ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ٩٣ ؛ القلقشندى، جـ٣، ص ٤٨٥.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٩، ٢١٧ ؛
Sanders, *Court Ceremnial* , pp. 37-38.

(4) كان الأرجير Argyre مكلفاً بتوزيع الصدقات على الفقراء. أنظر:
Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 375.

(5) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 375.

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٤ ؛
Sanders, *Court Ceremonial* , pp. 121 – 122.

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١١ وما بعدها ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥١٠، ٥١٢ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٣.

(8) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٨٤ ؛ المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٦٥، ٨٧ ؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٥٩، ١٦٢.

وفي هذه المناسبة كان "صاحب بيت المال" من بين الذين يتشرفون بالوقوف على إحدى درج المحراب حيث يخطب الخليفة[١].

وإذا انتقلنا إلى وظيفة "زمام القصور" أو "زمام القصر" فقد كانت وظيفته بمثابة "زمام الدور" اي المشرف على الحريم أو مراقب الحريم[٢].

ويندرج في وظائف خواص الخليفة من الأستاذين أيضاً وظيفة "حامل الدواة" وهى دواة الخليفة. وصاحب هذه الوظيفة يحمل الدواة قدامه على السرج ويسير بها في المواكب – كما سبق أن ذكرنا – و "صاحب المجلس" يضع "حامل الدواة" أمام الخليفة قبل رفع الستار[٣].

وعلى هذا يمكننا مقارنة حامل الدواة بوظيفة الكانكليوس Kanikleios[٤] في الإمبراطورية البيزنطية، وهو أحد السكرتارية الخاصة بالإمبراطور، و كانت وظيفته أن يقدم إليه الدواة التى كان في حاجة إليها للتوقيع على المراسم والمواثيق، كان ذلك في العصر البيزنطي المبكر، إلا أنه تحول فيما بعد إلى حارس للأختام وشهادات التعيين المسماه "خاريتا"[٥] Chartia التى كان يأخذها منه الإمبراطور البيزنطي ليعيدها ثانية إلى برومـوس Promus اي الشخص المرقى[٦].

وفيما يتعلق بوظيفة "صاحب المائدة" لدى الفاطميين[٧] فلها ما يقابلها في الإمبراطورية البيزنطية، إذ يقابلها وظيفة "دمستق مائدة الإمبراطور"[٨] Domestique de la table.

وهناك وظائف لا يوجد ما يماثلها في الإمبراطورية البيزنطية، فمن بين أرباب الوظائف بحضرة الخليفة أرباب الأقلام[١] و "المحتسب"[٢]، الذى يده مطلقة في الأمر بالمعروف والنهى

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ١٥٤، ١٧٣ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧١.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٦٨، ٧٠، ٨٤، ص ١٥٤ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦١، ١٦٤ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٥ وما بعدها.

(4) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 376; Kazhdan,A.,'Kanikleios', *The Oxford Dictionary of Byzantium*, II, p.1101.

(5) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 376.

(6) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 376.

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٥، ١٤٥، ١٧٠.

(8) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 377.

وعن "رئيس مائدة الإمبراطور" انظر: Bréhier, *Le monde byantin*, p. 131.

عن المنكر، وبالتالى فتلك الوظيفة تتعلق بمعتنقى الإسلام، لذا لا نجد ما يشابهها في الإمبراطورية البيزنطية التى تدين بالمسيحية على المذهب الملكانى. ويذكر القلقشندى بقوله : "ورأيت في بضع سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحب الشرطة أحياناً"[٣].

والجدير بالملاحظة هنا أن العديد من اختصاصاته تتفق مع اختصاصات الايبارخس[٤]. يضاف إلى ذلك أن "قراء"[٥] القرآن الكريم، لهم دور هام في المراسم والاحتفالات تماماً كما هو الحال في بيزنطة، إذ يقابل هؤلاء البساليا[٦] Psallai[٧].

الخليفة الفاطمى والإمبراطور البيزنطي:

تقترب مكانة أو مركز الخليفة الفاطمى من الإمبراطور البيزنطي أكثر من اقترابها من الخليفة العباسى، اي أن التشابه أكثر بين وضعية الخليفة الفاطمى والإمبراطور البيزنطي. فالخليفة العباسى هو خليفة الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين، وقد تأثر خليفة بغداد تأثراً واضحاً بالمؤثرات الفارسية[٨]، أما الخليفة الفاطمى، فهو على النقيض من ذلك، فهو قائم على الإمامة[٩] التى وهبها الله عز وجل إلى سلالة الرسول (ﷺ) وكانت تولية "على بن أبى طالب" من الأمور التى يستند إليها الشيعة وعلى الأخص الفاطميون، في تمسكهم بحقهم في الإمامة. فأصبحت

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١١٥، ١١٧ ؛ انظر أيضاً: القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٦ وما بعدها.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٧.

(3) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٧، ٤٨٨.

(4) Canard, Le Ceremonial Fatimite, p. 377. ومما يذكر أن Eparque اي الوالى كان من أهم شخصيات الإمبراطورية البيزنطية مكانه. انظر:

Brehier, *Le monde byantin*, p. 126.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤، ١١٩، ١٥٤، ١٥٥، ١٧٣، ١٩١.

(6) كانت مهمة هؤلاء قراءة الإنجيل أثناء إقامة القداس، أنظر:

Bréhier, *Le monde byantin*, p. 307.

(7) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 377.

(8) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 378.

(9) الإمامة هى أصل جميع نظم الحكم في الدولة الفاطمية، وكلمة "إمامة" التي كان يستعملها الشيعة بعامة والفاطميون بخاصة لها مدلول كلمة "خلافة" التي كان يستعملها – غالباً – الأمويون والعباسيون. لمزيد من التفاصيل عن نظام الإمامة انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ١٩٠ ؛ الماوردى، الاحكام السلطانية والولايات الدينية، ط أولى، القاهرة ١٩٦٠م، ص ٥ وما بعدها. أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـ١، ص ٥٦.

بالنسبة لهم جزءاً لا يتجزأ من العقيدة الفاطمية الأساسية، فيقولون : "لا إله إلا الله، محمد رسول الله، على ولى الله"[1]. ويعلق الشيعة أهمية كبرى على ظروف هذه التولية، فقد وجد محمد (ﷺ) وعلىّ، في منتصف الطريق ما بين مكة والمدينة بالقرب من مكان يُعرف باسم "غدير خم" ؛ وهنا أوصى الرسول (ﷺ) إلى علىّ بالإمامة من بعده، وعلى ذلك تكون الإمامة الفاطمية هى وارثة وصاية على[2] وسيستمرون في ممارسة ذلك حتى يوم القيامة فالفكر مختلف كثيراً بين العباسيين والفاطميين، ففلسفة المذهب الشيعى الاسماعيلى مؤداها أن الإمام هو "العقل الفاعل"، يتضح ذلك عند تمحيص أقوال الشاعر الرسمى للخليفة الفاطمى "المعز" ابن "هانى" فالإيمان بالله ورسوله غير كاملة دون الإيمان بالإمام، فبدون الإيمان بالإمام (ربما الإمام المنتظر) والدين والعقيدة الإسلامية تكون غير كاملة وغير صحيحة[3].

نستخلص من ذلك أن نظام الوراثة عند الشيعة الإسماعيلية يقضى أنه تكون الإمامة في نسل على بن أبى طالب دون غيرهم، وأن تنتقل دائماً من الأب، لأنهم كانوا يعتقدون أن للإمامة صفات وعلوماً خاصة تنتقل بالوراثة كما تنتقل الصفات الخلقية تماماً، اي يجب أن تكون في الأعقاب من أبناء الحسين، ولا تنتقل من أخ إلى أخيه بعد أن انتقلت من الحسن إلى الحسين. والشرط الوحيد اللازم توافره في شخص الإمام هو "الوصية" اي "النص" عليه من الإمام السابق[4].

وفي ظل هذه الشروط أن الإمام لا ينتخب بل معين من قبل سلفه. ونعلم أن الإمبراطورية البيزنطية تأثرت بهذا الفكر أيضاً، فالإمبراطور تم تعظيمه حتى درجة العبادة كما حدث في عهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م). ولكن بعد اعتراف قسطنطين الكبير (٣٠٦ – ٣٣٧م) بالمسيحية سنة ٣١٣م أصبح الإمبراطور هو الرجل الذى اختارته المشيئة الإلهية ليحكم بإرادة

---

(1) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٥، انظر أيضاً: ماجد، رسوم الفاطميين، ص ٥١-٥٢

(2) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر البغدادى، الفرق بين الفرق، القاهرة. د.ت. وكذلك ماجد، نظم الفاطميين، ص ٥٢ وما بعدها.

(3) الماوردى، الأحكام السلطانية، ص٨ ؛ ماجد، نظم الفاطميين، ص٥٣ ؛ ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٩٤م، ٧٤ وما بعدها ؛ جمال الشيال، مصر في العصر الفاطمى، ص ٢٤٢.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٣٦ – ٣٧، المقريزى،الخطط، جـ١، ص ٤٠٥. أنظر أيضا: جمال الشيال، مصر في العصر الفاطمى، ص ٤٤٣ ؛ ماجد، نظم الفاطميين، ٥٤-٥٥ ؛ ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٧٥ ؛ أحمد عبد الرازق، تاريخ وآثار مصر الإسلامية، دار الفكر العربى، ١٩٩٣، ١٦٩ وما بعدها.

الرب. وبهذا التصور أصبح الإمبراطور فوق سائر البشر، فهو مصدر السلطة التشريعية وعلى رأس السلطة التنفيذية والدينية أيضاً، إذ يقوم بتعيين بطريرك القسطنطينية. وكان جميع موظفي الحكومة والقصر في خدمته وولاؤهم له وحده، فهو الذى يعينهم في مناصبهم، ويستمدون منه سلطاتهم ونفوذهم كما يتحملون أمامه مسئولية أدائهم لواجباتهم[1]. فالإمبراطور مختار من الله، وعليه نستنتج مما تقدم أن شخص الإمبراطور وسلطته، وشخص الخليفة الفاطمى أشخاص غير عاديين وأن احترامهما يفوق احترام اي بشر عادى، نستخلص ذلك عند التحية.

فالتحية المستخدمة في كافة بلاطات الشرق والتى انتقلت مراسمها مبكرا إلى الإمبراطورية البيزنطية[2]، كانت قائمة على السجود أمام الإمبراطور البيزنطي، وكان حالها كذلك في البلاط الفاطمى[3]. فالوزير بعد دخوله على الخليفة يقبل يديه ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع وهو قائم مقدار ساعة زمنية، وكانت الصيغة المستخدمة "هى تقبيل الأرض بين يديه"[4]. وهناك السجود من على بعد، بمجرد لمح الخليفة، ويواصلون ذلك حتى الوصول إلى أقدام الخليفة، وذلك عندما كان ينبغى الاقتراب منه، فيذكر المقريزى في خططه "لا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير إلا بتقبيل الأرض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأفخر ما يكون.." [5].

ويمكن مقارنة ذلك بمراسم استقبال الإمبراطور البيزنطى للسفراء، إذ يصف وليم الصورى مراسم استقبال مانويل الأول كومنينوس لعمورى الأول ملك مملكة بيت المقدس (١١٦٢-١١٧٣م/٥٥٨-٥٦٩هـ)، عام ١١٧١م/٥٦٧هـ، فيذكر أن عمورى بمجرد اقترابه من

---

(1) وسام عبد العزيز، بيزنطة، ص ٣٨.

(2) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦، ٤٣١ ؛

Canard, *Le Cérémonial Fatimite*, p. 379.

(3) ناصر خسرو، سفر نامه، ص ١٤١. وخير مثال على طقس السجود أمام الإمبراطور البيزنطى ما ذكره وليم الصورى عند حديثه عن استقبال الإمبراطور مانويل كومنينوس (١١٤٣-١١٨٠م/٥٣٨-٥٧٦هـ) لأمير أنطاكية رينالد أوف شاتيلون Reginald of Chatillon (١١٥٣-١١٦٠م/٥٤٧-٥٥٥هـ)، فى عام ١١٥٩م/٥٥٤هـ، حيث يذكر أن رينالد ظهر أمام الإمبراطور فى حالة مرزية وألقى بنفسه على الأرض تحت قدمى الإمبراطور، واستمر فى السجود حتى أذن له الإمبراطور بالنهوض" . وليم الصورى، الحروب الصليبية، جـ٣، ص٤٢٨-٤٣١.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٥، ٢٠٨ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧٥، ٨٧.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٨ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧٥، ٨٧ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣.

حجرة العرش وجد الستائر الفخمة مسدولة لتخفى الإمبراطور عن حاشيته ومرافقيه، وأنه أعطى كرسى للجلوس عليه، لكنه كان منخفضا عن كرسى العرش الإمبراطورى، وفسر ذلك بأنه كان من عادة المراسم البيزنطية أن يجلس الإمبراطور فى مستوى أعلى من أولئك الذين فى معيته أو مجلسه [1]، كذلك هناك رواية لمؤرخ عصر مانويل الأول كومنينوس، حنا كيناموس، عن استقبال مانويل الأول للملك الفرنسى لويس السابع أثناء مروره بالقسطنطينية فى الحملة الصليبية الثانية، عندما أشار إلى جلوس لويس على كرسى بسيط، بينما جلس مانويل على كرسى العرش الأكثر فخامة وعظمة[2].

ويمشى الخليفة على بسط حرير فرشت له بين صفين من كبار الموظفين، وكل الصفين يتناهى في مواصلة تقبيل إلى الأرض، حتى يصل إلى مجلس خلافته ويصعد على الكرسى المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه[3].

وبخلاف السجود، هناك وسائل أخرى للاحترام والتبجيل، وهى في نفس الوقت من النعم البالغة التى يمنحها الخليفة ويهبها منها : تقبيل أقدامه ويديه وركاب فرسه[4] ؛ وفيها يذكر المقريزى في خططه : "واستدعى الوزير فواصل تقبيل الأرض إلى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يده بحكم خلوها من قضيب الملك". وتقبيل كمه – اي كم ملابسه – وعتبة قاعة الاجتماعات[5]. وأحياناً يسجد الساجد أمام الخليفة، ثم ينسحب إلى الخلف راجعاً ووجهه أمام الخليفة وليس ظهره[6].

ومع ذلك فهناك حالات لا يقبل فيها الساجد الأرض تقبيلاً تاماً. ففي عشية الاحتفال برأس السنة الهجرية، عندما يجلس الخليفة في "الشباك" لاستعراض الخيول، عند إزاحة الستار،

---

(1) وليم الصورى، الحروب الصليبية، جـ٤، ص١٣٨-١٤٦.

(2) Kinnamos , J., *Deeds of John and Manuel I Comnenus* , trans. Ch.Brand , New York , 1976 , p.64.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٧، ٢٠٨ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ٧٤، ٧٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣-٤٧٤.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٩ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٨-٤٧٣ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٠، ٥٠٥، ٥١٠، ٥١٣.

(5) المقريزى، الخطط جـ١، ص ٣٨٦، ٤٣٥ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٠.

(6) المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٨١ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ٥١٠، ٥١٤.

كان الوزير يجلس أسفل "الشباك"، حينئذ كان ينهض ويحيى الخليفة بأن يلمس الأرض ثلاث مرات بيده[1]. وفي أيام الاستقبالات العامة، يقوم كبير القضاة بتحية الخليفة، حيث يكون أول الأشخاص الذى تم إدخاله من قبل "صاحب الباب". وطبقاً لآداب مخصوصة – اي بروتوكولات خاصة – ويقال إن من هذه الآداب أن القاضى يرفع يده اليمنى وطرف السبابة نحو السماء قائلاً: "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته"[2].

وكما سبق أن أوضحنا إذا انتظم ذلك النظام، واستقر بهم المقام، فأول ماثل للخدمة بالسلام "قاضى القضاة" والشهود المعروفون بالاستخدام، فيجيز "صاحب الباب" القاضى دون من معه، فيسلم متأدباً، ويقف قريباً. ومعنى الأدب في السلام – كما ذكرنا من قبل – أنه يرفع يده اليمنى، ويشير بالمسبحة ويقولْ بصوت مسموع : "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته"، فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام. وينفرج الموكب للوزير فيتحرك مسرعاً ليصير أمام الخليفة ليدخل بين يديه فيمر بالخليفة فيَسكع سَكْعَة ظاهرة[3]، فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفيفة، وهذا أعظم مكرمة تصدر عن الخليفة، ولا تكون إلا للوزير صاحب السيف، ويسبقه إلى دخول الباب بالقصر راكباً على عادته إلى موضعه، والأمراء أمامه مشاة إلى الموضع الذى ركب منه بدهليز العمود، فيترجل هناك ويقف هو والأمراء لانتظار الخليفة. فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله وترجّل الوزير ودخل قبله الأستاذون المحنكون فيحدقون به والوزير أمام وجه دابته من مكان ترجله إلى الكرسى الذى ركب منه فينزل عليه ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له. كان ذلك عقب عودته من احتفالات رأس السنة الهجرية اي ركوب أول العام[4]، أو حين دخوله خيمته عقب احتفالات فتح الخليج[5]. والجدير بالمقارنة هنا

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٤.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٧ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧٤-٧٥.

(3) سكع، لا يدرى أين يتوجه من الأرض أو تحير، ورجل سكع اي متحير. ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٦، ص ١٨١.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٦-١٦٧.

Sanders, *Court Ceremonial* , 146.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٩٥ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧٤، ٩١.

أن أباطرة الإمبراطورية البيزنطية استخدموا لمقتنياتهم لفظة التبجيل "ساكير" Sacer[1]. وتعنى "المقدسة"[2].

وكان سيف الخليفة موضع تكريم خاص، فالذى كان يحمله في المواكب والاحتفالات الرسمية، كان ينبغى عليه حين يتسلمه أن "يرخى ذؤابته فلا تزال مرخاه ما دام حاملاً له"[3]. كذلك كان الوزير أو موظف آخر يستحوذ على وثيقة أتت إليه من الخليفة خاصة بمقامات كبار رجال الدولة حين يتشرفون بصعود المنبر الشريف وذلك يوم عيد الفطر المبارك كل حسب مرتبته[4]. وعندما كان رئيس ديوان الطراز يترأس عملية لف قطع الأقمشة والحلل والمظلات[5] المخصصة للخليفة في دمياط وتنيس وغيرهما من أماكن صنع ما تقدم، كان والى المنطقة يحضر هذه العملية وهو واقف على قدميه احتراماً لهذه الأشياء ذاتها، اي احتراماً لمقتنيات الخليفة[6]. وعندما يركب فرس الخليفة، كان ينبغى عليه أن يجعل هناك فاصلاً بين جسده وسرج الخليفة[7] ؛ ففي هذا يذكر المقريزى "يركبها الرائض بحائل بينه و بين السرج". وكان الخليفة يسلم على القاضى، إذ يسير موكب الخليفة على ترتيب دقيق منظم حسب درجة كل شخص وذلك في ركوب أول العام سائراً في الطريق الذى ذهب فيها للتخليق حتى يأتى الجامع الطولونى، ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوساً ببابه من هذه الجهة، فيقف لهم الخليفة وقفة لطيفة، ويسلم على القاضى، فيقدم القاضى ويقبل رجله التى من جانبه، ويأتى الشهود أمام وجه فرس الخليفة، ويقفون بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة فيسلم عليهم، ثم يركبون ويسير الموكب حتى يأتى ساحل الخليج، فيسير حتى يقارب الخليفة الخيمة[8]. وعادة كان الخليفة يرد على تحية الوزير ببساطة. إما بتحريك كمه أو بعلامة بسيطة[9]. كذلك عقب احتفالات المولد النبوى الشريف أو ليالى

---

(1) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 385.

(2) Chatelain, E., *Lexique Latin-Français*, S.D., p. 385.

(3) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٩، ٤٧٣، القلقشندى صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٥.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٧٦ وما بعدها ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٤.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٠١ ؛

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٠.

(7) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٤.

(8) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٧-٤٧٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥١٩.

(9) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٤، ٤٧٤.

الوقود[1]، كان الموكب يخرج بقيادة كبير القضاة ومن معه، ثم يترجلون على القرب من "المنظرة" ويجتمعون تحتها وهم متشوقون لانتظار ظهور الخليفة، فيفتح إحدى طاقات "المنظرة" فيظهر منها وجهه، ثم يخرج إحدى الاستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء كما تقدم في "ليالى الوقود"، فإذا انتهت خطابة الخطباء، أخرج الأستاذ يده مشيراً برد السلام – كما تقدم – ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم ؛ وكذلك شأنهم في مولد "على بن أبى طالب كرم الله وجهه"[2].

واحترام الخليفة عادة يتطلب التزام الصمت التام والهدوء، فعندما يظهر بكل شاراته – يكون ذلك في ظل صمت تام – يخرج من القصر، ويمتطى صهوة جواده[3]. ولم تحدث إلا مرة واحدة أن امتطى جواده وانطلقت أصوات الأبواق التى تصاحبه آداب مقرئى القرآن يرتلون القرآن الكريم[4]. فكل هذه المراسم تهدف إلى إبراز جلالة الخليفة.

وهناك شكل آخر من التكريم يؤدى للخليفة ألا وهو التبخير. ففي ركوبه في المواكب العظام، وهى ستة مواكب[5]. كان ثلاثة من حاملى المباخر يقفون على يمين الخليفة، وثلاثة على يساره ومعهم مباخر من الفضة، يرتدون جميعهم حزام في الوسط – اي يتوسطهم حزام – وفحم في أكمامهم لكى ينشطوا عملية التبخير اي يضعون من حين لآخر البخور والفحم والوقود. بينما كان أحد كبار موظفي الخزانة العامة يقف بينهم حاملاً صندوق يحوى البخور الذى يضعه بنفسه في المباخر[6]. كذلك كانوا يبخرون المكان الذى كان يقف فيه الخليفة على محراب المسجد أيام جمع رمضان أو الخطبة في الهواء الطلق – اي في الخلاء – وذلك في عيد الفطر المبارك[7].

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٢، ٢٠٣، ٢١٧ ؛ ابن المأمون نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ٩٣.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٧ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢، ٩٣ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٣٣، ٤٦٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠١، ٥٠٣.

(3) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣.

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٩، ٤٥٣.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٧.

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٢١.

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ١٧٢ ؛ المقريزى، الخطط، جـ٢، ص ٢٨١ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٩.

مما تقدم ذكره هناك تشابه كبير مع ما يحدث في البلاط البيزنطي. فالتحية كانت على شكل سجود وانبطاح، فهذا معروف جيداً إذ نجد ذلك في كل المراسم والاحتفالات الرسمية، وكانت تتم احياناً على ثلاث أو أربع مراحل، ونعلم جيداً أيضاً اختلاف الأحوال، إذ كان كبار الموظفين وكبار المسئولين والأساقفة يقومون بتقبيل الأيدى والأرجل أو ركب الإمبراطور[١]. كذلك نجد في بيزنطة أيضاً أن كبار الموظفين كانوا ينسحبون إلى الخلف بوجوههم وليس بظهورهم، وذلك بعد تقبيل أرجل وركب الإمبراطور[٢]. وكما هو حال الخليفة الفاطمى، كان الإمبراطور البيزنطي عندما يحيى، لا يحيى بعلامة من رأسه[٣].

ومن الملاحظ أن التحية التى كان يقوم بها الخصى – اي الطواشى – عن طريق كمه نيابة عن الخليفة ليس لها مثيلها الدقيق المطابق في بيزنطة ؛ لكن مما لاشك فيه يبدو أن البريبوزيتوس في بيزنطة كان ينقل أمر الإمبراطور بعلامة من يده المغطاة بالخلاميد Chlamyde[٤]، وأن رئيس المراسم كان يغطى يديه لكى يتوجه إلى الإمبراطور، وذلك عند نزول الإمبراطور البيزنطي درج السلم. لا شك أن هذا مظهر من مظاهر الاحترام والتبجيل لشخص الإمبراطور المقدس، والذى كان ينبغى عدم الاقتراب منه واليدين عاريتين وغير طاهرتين[٥].

وعلى هذا يمكننا أن نقارن حركة الخليفة حين يقوم بالتحية بكمه، بتحية الإمبراطور البيزنطي حين يبارك الشعب البيزنطي بذيل ملابسه، بينما رئيس المراسم يقوم بالانحناء له[٦].

أما بصدد التزام الصمت والسكون في حضرة الإمبراطور البيزنطي، فكانت له طقوسه الخاصة والأكثر تعقيداً عن ما وجد في بلاط الخلافة الفاطمية، حيث نجد فيها شخصاً ما مسئولاً عن الحفاظ على الصمت والسكون.

---

(1) Canard, *Le Cérémonial Fatimite,* p. 385.

(2) Canard, *Le Cérémonial Fatimite,* p. 385 – 386.

(3) Canarrd, *Le Cérémonial Fatimite*; p. 385.

(4) Henry, M., *Byzantine Court Culture from 829 to 1204*, Harvard University press, 1997 p. 42. والـ Chlamyde نوع من الدثار اي غطاء من القماش، انظر: Canard, *Le Cérémonial Fatimite*, p. 385.

(5) Canarrd, *Le Cérémonial Fatimite* p. 385.

(6) Canard, *Le cérémonial fatimite,* p. 386.

وفيما يتعلق بالاستخدام الشرفي لتبخير الإمبراطور البيزنطي، فقد كان متبعاً في بيزنطة في مناسبات عديدة منها : عندما يأخذ الإمبراطور مكانه على العرش في حجرة الخريسوتريكلينوس Chrysotriclinos[1] في الاحتفال باختيار البطريق[2]الذى يتم تعيينه وسط مظاهر احتفالية دقيقة، لا تختلف عن تعيين الوزير، وكانت تنتهى هذه الاحتفالات بتسليم المرشح لرتبة البطريق الوشاح. وكان الإمبراطور البيزنطي محاطاً بكل ضباط الغرفة (غرفة البلاط الإمبراطورى) وكان يبخر ثلاث مرات بواسطة المانصوراتور[3] Mensurator أو بابياس Papias القصر العظيم أو القصر الكبير، كذلك كان الحال عشية ترقية نواب القناصل Proconsuls. كان الإمبراطور يتم تبخيره من قبل البطريرك في البئر المقدس Puits Sacre لكنيسة القديسة صوفياوذلك عند قدومه إلى الكنيسة[4] في أسبوع الآلام – اي في أسبوع عيد

---

(1) انظر:
Guilland, *Les eunuques* , p. 126.
Chrysotriclinos خريسوتريكلينوس هى قاعة قصر الإمبراطور، وكان المسئول عنها يسمى Prépose Chrysotriclinium أي البريبوزيتوس المكلف بقاعة الإمبراطور. في أول الأمر، كانت وظيفته ذات مكانة هامة. إلا أنه في القرن العاشر الميلادى، تحولت وظيفته إلى وظيفة تشريفية. أنظر:
Bréhier, *Institution*, p. 134.

(2) فايز نجيب اسكندر، الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١-٤٠هـ / ٦٣٢-٦٦١م)، الاسكندرية ١٩٨٣م، ص ٣٩، وانظر أيضا:
Bréhier, *Le monde byantin* ,pp. 102-103; Bury, *Administrative System* ,pp. 20-36.

(3) المانصوراتور Mensurator هو الشخص المكلف بفتح أبواب القصر الكبرى لضمان أمن وأمان الإمبراطور البيزنطي أنظر:
Bréhier, *Le monde byantin*, p. 355.

(4) ورثت هذه الكنيسة اسمها من كنيستين سبقاها إلى الوجود في نفس الموقع بنفس الاسم (صوفيا المقدسة) تهدمت أولاها واحترقت ثانيتهما في عام ٥٣٢ خلال ثورة الشعب المسماه "نيقا" أى النصر. وكان هذا الحريق هو السبب المباشر لاضطلاع جوشنيان بإنشاء الكنيسة الحالية الذي استغرق خمسة أعوام وعشر شهور افتتحت بعدها في احتفال مهيب، وقام بتصميمها وبتنفيذها المهندسان أنثميوس من ترال وإيزودوروس من ملطية إلى أن تحولت إلى مسجد بعد الفتح العثمانى وغدت أهم مساجد استنبول. لمزيد من التفاصيل انظر، ثروت عكاشة، الفن البيزنطي، موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، ط١، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١١١ وما بعدها. تحدث روبرت كلارى عن كاتدرائية آيا صوفيا، بقوله: "سانت صوفيا يقصد بها في اليونانية الثالوث المقدس". روبرت كلارى، فتح القسطنطينية، ص ١٢٧. وهنا يخطئ روبرت كلارى في هذا التفسير لأن الاسم يتكون من كلمتين يونانيتين الأولى هجيا وينطقها البعض آيا إنما تعنى المقدسة في حالة وقوعها صفة، "والقديسة" في حالة وقوعها اسماً، أما صوفيا فتعنى الحكمة، ومن ثم فتعرف الكنيسة باسم كنيسة الحكمة المقدسة، ويطلق عليها البعض مجازاً اسم كنيسة القديسة صوفيا [illegible] منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية، ص ٢٨٠.

الفصح اي عيد القيامة المجيد[١] – فقد احتلت الأعياد الدينية المكانة الأولى في نفوس كل فئـــات الشعب البيزنطي، وكانت كنيسة آيا صوفيا المركز الرئيسى الذى يعج بكـــل المظـــاهر الدينيـــة الرسمية في الأعياد لسكان القسطنطينية، بل وفي مناسبات الاحتفالات المدنية الأخرى[٢].

ولاحتفال عيد القيامة[٣] أهمية كبيرة بين سائر الاحتفالات الدينية في القسطنطينية شـــأنه شأن الاحتفال بعيد الميلاد المجيد. ذلك أن يوم هذا العيد من المناسبات التى يحرص فيهـــا علـــى إتمام حفلات الزواج[٤] بعد انقطاع في الفترة السابقة للعيد الكبير بسبب الصيام.

وكان من أبرز مظاهر الاحتفال بهذا العيد، ظهور الإمبراطور بين حرسه، وهو علـــى جواده في موكب ضخم يشق طريقه إلى الكنيسة العظمى. ويبدو أن الإمبراطور نقفـــور فوقـــاس Nicephore Phocas (٩٦٣ – ٩٦٩م / ٣٥٢ – ٣٥٩هـــ) كان يحرص في هذا العيـــد علـــى تدشين بعض الكنائس الجديدة التى تقع خارج أسوار العاصمة بعد خروجه مباشرة من كنيسة آيـــا صوفيا. وقد تصادف وجود ليو الشماس [٥] Leo the Deacon الذى شده هذا المنظـــر فكتـــب يقول : "لقد كنت أنظر بنفسى وأنا أسجل في كتابى الآن وكنت عندئذ فتى صغيراً، وقد شـــاهدت بعينى موكب الإمبراطور نقفور فوقاس، يوم عيد القيامة، وهو على صهوة جواده يتقـــدم عبـــر المدينة وقد تملكنى خوف شديد ورحت أتعجب من هذا الرجل، وكانت السكينة تعلو وجهه، وهـــو

---

(1) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 386.

(2) نجلاء مصطفي، مدينة القسطنطينية، ص ٩٨.

(3) يمثل هذا العيد ذكرى اليوم الذي خرج فيه المسيح من القبر، وكان يلى هذا العيد بثمانية وثلاثين يوماً عيد يعـرف باسم عيد السلاق، وهو اليوم الذي صعد فيه المسيح إلى السماء. انظر المقريزى، الخطـــط، جـــ٢، ص ٥١ . أنظر أيضا :؛ نجلاء مصطفي، مدينة القسطنطينية، ص ١٠١.

(4) نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص ١٠٢.

(5) هو "ليو الشماس" Leo The Deacon الذي اشتهر في أخريات القرن العاشر الميلادى، ولد حوالى ســـنة ٩٥٠م في كالوى Kaloi، وعندما أصبح شماسا انضم إلى رجال القصر الدينيين يوم اعتلـــى باســـيل الثـــانى (٩٧٦-١٠٢٥م) العرش وامتدحه بقصيدة عصماء، كما رافقه في حملته البلغارية التي قام بها سنة ٩٨٦م. ولعل أعظـــم ما اشتهر به هو تاريخه الكبير المتعلق بالفترة من ٥٩ إلى ٩٧٦م ويقع في عشرة أجزاء، ويمتاز بلغته اليونانيـــة الراقية، وكان شاهد عيان لمعظم الأحداث التي ذكرها، كما أن رواياته تفصل كثيراً من جوانب حياة سلفي باسيل الثانى، نقفور الثانى فوقاس (٩٦٣-٩٦٩م) وما كان بينهما وبين العرب من حروب ومعارك في كريـــت وآســـيا الصغرى، وكذلك حروب باسيل الثانى ضد البلغار والروس. انظر: دونالد نيكول معجـــم التـــراجم البيزنطيـــة، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ٢٠٠٣م، ص ٢٥٨-٢٥٩.

يتقدم في موكبه إلى بيجاي[1] Pegai خارج الأسوار حيث بنيت هناك كنيسة رائعة الجمال لمريم العذراء"[2].

أما عن وصف موكب الإمبراطور البيزنطي عندما كان يخرج إلى كنيسة آيا صوفيا، الواقعة في قلب العاصمة، فكان "... يأمر بأن يفرش له طريقه من باب القصر إلى الكنيسة التى للعامة في وسط المدينة حصر ويطرح فوقها رياحين وخضرة ويزين الحائط يمنة ويسرة من ممره بالديباج، ثم يخرج بين يديه عشرة آلاف شيخ عليهم ديباج أحمر مسبلة شعورهم إلى أكتافهم، ليس عليهم برانس، ثم يجئ خلفهم عشرة آلاف شاب عليهم ديباج أبيض مشاة كلهم، ثم يجئ عشرة آلاف غلام عليهم ديباج أخضر، ثم يجئ بعدهم خمسة آلاف خصى أواسط، عليهم ملحم خراسانى أبيض بأيديهم صلبان ذهب، ثم يجئ بعدهم عشرة آلاف غلام أتراك وخزر عليهم صدر مسيرة، بأيديهم رماح وأترسة ملبسة كلها ذهباً، ثم يجئ مائة بطريق من الكبار عليهم ثياب الديباج الملون، بأيديهم مجامر من ذهب ويبخرون بالعود القمارى[3].

وهكذا استقبلت جموع الشعب الإمبراطور نقفور فوقاس عند البوابة الذهبية حاملين آنذاك الشموع والمباخر. وفي يوم الاحتفال بعيد صعود المسيح إلى السموات – كما يعتقد المسيحيون – كان الإمبراطور يتوجه من الباب الذهبى إلى باب المنبع[4] Porte de la Source حيث يستقبله دمستق النوميرا[5] Domestikos Ton Noumeron الذى يحمل الثيماتوس [1]

---

(1) ضاحيةة تقع على الشاطئ الجنوبى لبحر مرمرة، وقد استولى عليها الصليبيون فيما بعد سنة ١٢٠٤م أثناء الغزو الصليبى للقسطنطينية. للتفاصيل انظر:
Kazhdan, A.P., *The Oxford Dictionary of Byzantium*, Oxford, 1991, Vol. III, p.1615.

(2) نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص ١٠٢.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر: ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٣٣ وما بعدها، انظر أيضاً: طارق منصور، هارون بن يحيى، ص ٥٠.

(4) Canard, *Le Cérémonial Fatimite*, pp. 386-387.

(5) النوميرا فرقة عسكرية تكونت من المشاة، وكانت من الفرق القائمة بالعاصمة باستمرار، وقد استمدت اسمها من المكان الذى تعسكر به على يمين مدخل القسر الكبير (شالكيه)، وكان يقودها فى بداية الأمر قومس، ومع منتصف القرن التاسع أصبح قائدها دومستقا، وصارت لهذه الوظيفة أهمية بالغة خاصة وأن صاحبها اضطلع بحراسة القصر الكبير والدفاع عنه، كما أدار سجن النوميرا واضطلع ببعض مهام الشرطة. طارق منصور، الجيش، ص٣٠٨-٣١٣
Brehier, *Le monde byantin*, p. 113; Kazhdan , A., 'Domestikos Ton Noumeron' , *The Oxford Dictionary of Byzantium* , 1, p.647 ; Bury , *Administrative System* , pp.65-66.

Thymiatos(الشمعة) وتجدر الإشارة إلى استخدام المسلمين العطور في المساجد، فيقال إن الرسول (ﷺ) كان يأمر بإطلاق البخور في المسجد، وأن عمر بن الخطاب حذا حذوه في ذلك وتبعهما معاوية، وأن المعتصم أراد أن يدفن بالشموع والبخور كالنصارى، وأن الفاطميين كانوا يطلقون في المساجد كميات وافرة من البخور، ولكن هذه الحالات ليست لها كبير علاقة بالطقوس الدينية وإنما ترجع إلى ما عرف عن الرسول (ﷺ) والعرب من حب الطيب والبخور. وكانت المباخر تصنع على شكل طيور، وقد ذاع استخدام المباخر في البلاد الإسلامية، ولكن المسلمين لم يتخذوها لاي طقس من طقوس العبادة، بينما تجدها أداة لازمة في جل طقوس العبادة والزواج والدفن في الكنيسة المسيحية منذ عهد بعيد إلى يومنا هذا[٢].

شارات السيادة

كانت الشارات الإمبراطورية في مراسم الإمبراطورية البيزنطية حسب ترتيب أهميتها بالنسبة للثياب هى :

الأحذية "كامباجيا Campagia" والـ "لورس Lôros" وهو "إيشارب" مطرز بالذهب ومزين بأحجار كريمة ثمينة والـ "ثوراكيون"[٣] Thorakion وهو شعار الشرف المطرز بالذهب الذى يحمله الإمبراطور مع الإيشارب. ثم يأتى بعد ذلك "التاج" بمختلف أشكاله. وكان الإمبراطور يحمل أيضاً في يده صليب من الذهب، وهذا الصليب كان قد حل محل الصولجان. ثم كانت الـ "أكاكيا Akakia" وكانت عبارة عن كيس من الحرير مملوء بالتراب وله قيمة رمزية ليس إلا[٤]. وهناك أدوات أخرى ضمن شعارات وشارات السيادة، كانت تحمل أمام أو خلف الإمبراطور البيزنطي سواء في احتفالات الانتصارات أو في الاحتفالات الدينية منها الرمح والترس الذى يحملهما الاسباثيرات[٥] Spatharioi في الإمبراطورية[٦].

---

(1) Canard, *Le Cérémonial Fatimite*, p. 387.

(2) زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ٢٣٨ – ٢٣٩ .

(3) انظر أيضاً:
Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 387.
Henry, *Byzantine Court Culture*, pp. 44-45.

(4) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 387.

(5) كان عادة يحمل السيف، وتطورت وظيفته فيما بعد، للتفاصيل انظر:
Brehier, *Le monde byantin*, pp. 118 , 133.

(6) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 387.

وهناك أيضاً الأعلام والشارات المختلفة، وكان بعضه مطرز وعليه صـــور مختلفـــة ؛ على سبيل المثال صور الانتصار أو صور الإمبراطور وهو يمتطى صهوة جـــواده أو صـــور بعض القديسين العسكريين اي القديسين الذين استشهدوا في المعارك الحربية، أو صور التنـــين، بالإضافة إلى وجود شارات أخرى مثل الصليب الكبير أو عصا سيدنا موسى[١].

وإذا عقدنا مقارنة بين شارات الإمبراطور البيزنطي مـــع شـــارات الخليفـــة الفـــاطمى سيتضح لنا بعض الاتفاق ؛ ولكن سيظهر لنا أيضاً اختلاف عميق بين الدولتين. وطبقـــاً لفـــصل خصصه القلقشندى عن ذكر شارات الفاطميين[٢] ذكر أنها : التاج، وقـــضيب الملـــك والـــسيف الخاص والدواة والرمح والدرقة والحافر والمظلة والأعلام المختلفة والمذبتان والسلاح والنقارات والخيام والفساطيط كل هذا أورده القلقشندى تحت عنوان "في الآلات الملوكية المختصة بالمواكب العظام"[٣].

وكانت هذه الشارات تستخدم في المراسم الرسمية اي الاحتفالات الرسمية، أو تحمل في المواكب أو كحال الخيام كانت تحمل في الموضع المقام فيه المراسم والاحتفالات : على ســـبيل المثال في عيد فتح الخليج[٤]. وذكر القلقشندى "التاج" وهو عبارة عن عمامة "منديل"[٥] إسلامية، وكان ينعت عندهم بالتاج الشريف، ويعرف "بشدة الوقار". وهو تاج يركب به الخليفة في المواكب العظام، مرصع بجوهرة عظيمة تعرف باليتيمة (كان الإمبراطور البيزنطـــي لديـــه نفـــس تلـــك الجوهرة) زنتها سبعة دراهم، وحولها جواهر أخرى دونها. وكان الخليفة الفاطمى يلبس هذا التاج في المواكب العظام مكان العمامة، وكانت المراسم إذا لبس الخليفة هذا التاج شمل الناس السكون التام ولا يسمح لأحد أن يقربه غير الوزير، وذلك بتقبيل الأرض من غير دنو[٦].

---

(1) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 388.

(2) القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٧٢.

(3) القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٧٢ ؛ ابن خلدون، المقدمة، ص ٤٢ .
Sanders, *Court Ceremonial* , pp. 28-151.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٩٥، ٢٠٣ .

(5) فقد حكى أنه كان للوزير الأفضل بن بدر الجمالى مائة بدلة معلقة على أوتاد من ذهب، على كل بدلة منها منـــديل من لونها، ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٤٩، ٤٧٣ .

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٦ ؛ ابن المأمون نصوص من أخبار مصر، ٤١، ٧٥ ؛ المـــسبحى، أخبـــار مصر، ١٤٧ ؛ ناصر خسرو، سفر نامه، ص ٩٦ ؛ المقريزى، الخطـــط، جـــــ١، ص ٤٧٣ ؛ انظـــر أيـــضاً:
Canard, *Le cérémonial fatimite*, pp. 390-392.

فالتاج الفاطمى كان يشبه نوعاً من قلنسوة الملك عند الفـرس الـساسان، اي أن التـاج الفاطمى كان أكثر تشابهاً بتاج حكام الفرس الساسان هكذا أشار إلـى التـاج الفارسـى قـدامى العرب[1]، ولم يختلف عن التاج العباسى الذى تأثر هو بدوره بالـساسان إلا فـي طريقـة لـف العمامة، وكان هذا التاج مزيناً بزينات مختلفة من الأحجار الكريمة فيه لؤلـؤة ضـخمة تـسمى "اليتيمة" اي التى لا مثيل لها.

أما عن "قضيب الملك" فكان عبارة عن عود طول شبر ونصف، ملبس بالذهب المرصع بالدر والجوهر، فإنه يمسكه الخليفة بيده في المواكب العظام[2].

كذلك "السيف الخاص" يقال إنه كان من صاعقة وقعت وحصل الظفر بها فعمل منها هذا السيف، وحليته من ذهب مرصعة بالجواهر، وهو في "خريطة" غلاف مخطط بخيـوط بالـذهب بحيث لا يظهر إلا رأسه، وكان له أمير عظيم القدر يحمله عند ركوب الخليفة في المواكب، فإذا تسلمه أرخيت ذؤابة عمامته للتوقير، وتظل مرخاة ما دام حاملاً له[3].

و "الدواة" وهى من الذهب وحليتها مصنوعة من المرجان على صلابته ومناعته، وتلف في منديل شرب أبيضُ، ويحملها شخص من الأستاذين في الموكب أمام الخليفة، وهى دواة ثمينة تعتبر أعجوبة من أعاجيب الزمن. وهى من الذهب وحليتها مرجان وملفوفة في منديل مذهب[4].

و "الرمح" وهو غاية الجمال يحميه غلاف منظوم باللؤلؤ، وله سنان مختـصر بحليـة الذهب، وله أمير مختص بحمله[5].

كذلك "الدرقة"[1] وهى كبيرة مزينة بحلية كوابيج[2] من ذهب، يقولون إنها درقة حمـزة عم الرسول (ص) وعليها غشاء من حرير ؛ ويحملها في الموكب أمير من أكـابر الأمـراء لـه

---

(1) ابن هشام، سيرة ابن هشام، ص ٤٢ .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٢، ٢٠٦ – ٢٠٧ ؛ المقريزى، الخطط، جـ٣، ص ٤٧٢، القلقشندى، صـبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٢ .

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٩، المقريزى، الخطط، جـ١، ٤٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٢ ؛ زكى حسن، كنوز الفاطميين، ص ٥٤ .

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٧٥، ٨٠، ٨٧، ١٦١، ١٦٢ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣ .

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٩ ؛ ابن المأمون، أخبار مصر، ص ٥٣ ؛ المقريزى، الخطـط، جـ١، ص ٤٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣ .

عندهم جلالة[٣] و "الحافر" وهى قطعة ياقوت أحمر في شكل الهلال زنتها أحد عشر مثقالاً، ليس لها نظير في الدنيا، تخاط خياطة حسنة على خرقة من حرير، وبدائرها قضب زمرد عظيم الشأن، تجعل في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في المواكب[٤].

و "المظلة" وتحمل على رأس الخليفة عند ركوبه في المواكب وهى ذات شكل جميل، عبارة عن قبة على هيئة خيمة على رأس عمود مرصعة بالأحجار الثمينة ولها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة، ويحملها شخص من أكابر الأمراء، وكان لونها مثل الثياب التى يرتديها الخليفة. وهى من شارات الخلافة المهمة، التى قد يكون استعمالها مأخوذاً عن الساسانية أو العباسيين[٥].

"الأعلام" وأعلاها اللواءان المعروفان "بلواءي الحمد" وهما رمحان طويلان ملبسان بأنابيب من ذهب إلى حد أسنتهما، وبأعلاهما رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على جسم الرمحين غير منشورتين، يخرجان لخروج المظلة إلى أميرين من حاشية الخليفة معدين لحملهما[٦]، دونهما رمحان برؤوسهما أهلة من ذهب، في كل واحد منهما سبع من ديباج أحمر وأصفر، يحملهما فارسان من صبيان الخاص[٧] وراءهما رايات ملونة من الحرير

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٩ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣ .

(2) الكوابج، بمعنى سره اي أن في وسطها حلية أو زخرفة محدبة أو مقعرة . ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٨، ١٥٩ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٣ .

(3) عن الدرقة انظر المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٩، ١٥٢، ١٥٩، ١٦٥.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٦ .

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٧ ؛ المسبحى، أخبار مصر، ص ٦٢، ٦٤، ٦٦، ٨٠ . وأنظر أيضا:
Sanders, *Court Ceremonial* , p. 29.

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٨ .

(7) "صبيان الخاص" هم "أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة" . كان إذا مات الرجل منهم وله أولاد حملوا إلى حضرة الخلافة ويودعوا في أماكن مخصوصة، ويؤخذ في تعليمهم الفروسية ويقال لهم "صبيان الخاص" . ابن الطوير، نزهة المقلتين ؛ ص ١٥٨ ؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص ١٤٣ ؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص ١٩٩ .

كتب عليها "نصر من الله وفتح قريب"[1] وعددها إحدى وعشرون راية، يحملهما واحد وعشرون فارساً من صبيان الخليفة، وحاملها يركب بغلة[2].

"المذبتان" وهما مذبتان عظيمتان كالنخلتين ملويتان محمولتان بواسطة صقلبيان عند رأس فرس الخليفة في الموكب، وقد كان اتخاذ المذبة معروفاً قبل الفاطميين[3]، ولكن هؤلاء أول من اتخذوها في مصر، لتكون ضمن آلات الخلافة في الموكب.

"السلاح"[4] كان الموكب وسيلة لإظهار قوة الدولة، ولذا كان يحصل الاهتمام بإخراج السلاح العديد، لطوائف العسكر التى تشترك في الموكب، فكان يخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب حول الخليفة من السلاح وهو : الصماصم[5] وهى مصقولة ومذهبة، وثلاثمائة درقة يحمل ذلك في الموكب ثلاثمائة من عبيد السودان يقال لهم "أرباب السلاح الصغير"[6]، وستون رمحاً يحملها قوم يقال لهم "السريرية"، ومائة سيف بيد مائة رجل، وعشرة سيوف في خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب يقال لهم "سيوف الدم"[7] تكون في أعقاب الموكب برسم ضرب الأعناق إذا أراد الخليفة قتل أحد، وذلك كله خارج عما يخرج من خزانة التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب التجمل برسم الوزير وأكابر الأمراء وأرباب الرتب وأزمة العساكر لتجملهم في الموكب[8].

يمكننا أيضاً أن نستخلص بعض نقاط ومواضع المقارنة فيما يتعلق بالأسلحة؛ فقد اقتصرت على علامات ورموز السيادة في الإمبراطورية البيزنطية مثل الرمح والترس، بينما عند الفاطميين كانت هذه الشارات أكثر تنوعاً وعدداً منها [9]، وكان يحمل هذه الأسلحة "الصبيان"

---

(1) القرآن الكريم : صورة الصف، الآية ١٣.

(2) المقريزى، الخطط جـ١، ص ٤٤٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣-٤٧٤ .

(3) عن السلاح انظر ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٣٣ وما بعدها .

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٩ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٤. أنظر أيضا : ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٧٤ .

(5) الصماصم يعنى سيفا مستقيما بالمقابلة بالسيف المحدب انظر ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٨ .

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٤ .

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٠ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٤ .

(8) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٥ وما بعدها .

(9) القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٤، ٥٠٧ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ص ٤٤٦-٤٤٧ .

وكانوا من العبيد السود، وكانت هذه الأسلحة تزين بتغليفها بـــالطراز والمزينـــة بالـــشراريب[1]، وعلى هذا كانت ثمينة القيمة وفاخرة وليست أسلحة حقيقية.

"النقارات"[2] كانت تحدث أصواتا هائلة في الموكب، وهى تحمل على عشرين بغـــلا[3]، على كل بغل ثلاث منها، تسير في الموكب إثنتين إثنتين[4].

"الخيام والفساطيط : كانت تقام يوم فتح الخليج، وكان أعظمها الخاص بالخليفـــة، مثـــل الخيمة المشهورة "بالقاتول"، والتى سميت بذلك لأن فراشاً سقط من أعلاها فمات، وهى واســعة تشبه القصر المستدير، وتزيد مساحتها على فدانين في التدوير[5]. لا شك أن شارات الملك سابقة الذكر تدل على عظمة البلاط الفاطمى وقوة الدولة الفاطمية وعظيم شأنها.

وإذا عقدنا مقارنة بين شارات الملك في الدولة الفاطمية والدولة البيزنطية فنلاحظ الآتى:

فيما يتعلق "بالتاج" الفاطمى والذى يمكن مقارنته بالتاج البيزنطي وإثبات وجود تـــشابه بينهما، فالتاج الفاطمى لم يكن تاجاً بمعنى الكلمة كما سبق أن ذكرنا كانت ملابس الخليفة تختلف باختلاف المناسبة التى يرتديها فيها، فقد كان كل موكب يتطلب من الخليفة ثياباً جديدة من أفخـــر وأنفس ملابسه[6]، وفي بعض المواكب كان الخليفة يغير هذه الثياب أكثر من مرة، فكان الخليفـــة في ركوبه لصلاتى عيد الفطر والأضحى، يلبس ثياباً خاصة بالصلاة، وأخرى للوليمة "الـــسماط" التى تعقب الصلاة، كما أنه في يوم فتح الخليج يلبس ثياباً في الذهاب وأخرى في الإياب[7].

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٣٣ وما بعدها ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٤٦ ؛ القلقـــشندى، صـــبح الأعشى، جـــ٣، ص ٥٠٧ .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥١، ١٩٥ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٧٥ .

(3) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٤٧ .

(4) القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٧٥-٤٧٦ .

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٩٦ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٥، ١٠٢ ؛ ابـــن ميـــسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٥-٨٦ ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤١٩-٤٢٠، ٤٧٠ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٢، ص ١٣٨، جـــ٣، ص ٤٧١؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـــ٢، ص ٢٨٧، جـــ٣، ص ٧٢، ٧٣ .

(6) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٣٨٨، ٤١٠ .

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ١٤٧، ١٧٦، ١٨٢، ١٩٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٧٢ ؛ القلقشندى، صـــبح الأعشى، جـــ٣، ص ٥٢١ . أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـــ٢، ص ٥١ .

وقد زودنا المقريزى بتفاصيل خاصة بلباس الخليفة وقت المراسم والاحتفـــالات يمكـــن تحديد زيه على النحو التالى :-

"العمامة" وكانت تتكون من ثلاث قطع شاشية طميم[١] ومنديل بعمود مذهب[٢] و "بطانة للمنديل"[٣] وكانت عمامة الخليفة غالية الثمن ويروى ناصر خسرو أن أحد صناع تنيس قد صنع عمامة للخليفة المستنصر بلغت قيمتها أربعة آلاف دينار غير ما تحويه من الجواهر"[٤].

وقد أطلق على عمامة الخليفة "منديل الجوهر"[٥] لكثرة ما تحويه من الجواهر الثمينـــة، كما كانت تسمى "شدة الوقار" أو "التاج الشريف"[٦]. وكان الخليفة يرتدى هذه العمامة في المواكب العظام ويقوم بشدها وإعدادها موظف كبير من خواص الخليفة من "الأســـتاذين المحنكـــين" قـــد تمرس على هذا العمل، فكان يرصع العمامة. وكان الخليفة يضع على رأسه أحيانـــاً الكلوتـــة[٧] المرصعة بالجواهر التى كان تلبس بمفردها أو مع العمامة، وتقدر قيمتها بمائـــة وثلاثـــين ألـــف دينار[٨].

أما بالنسبة لزينة التاج – كما سبق أن أشرنا – فكان مزيناً بزينات مختلفة من الأحجار الكريمة فيه لؤلؤة ضخمة تسمى "يتيمه" اي التى لا مثيل لها، وكانت محاطـــة بجـــواهر أخـــرى أصغر، توضع في الحافر، وكان هذا الحافر على شكل حدوة الفرس، لذا أطلق عليه كلمة حافر،

---

(1) "الشاشية" ما يلبس على الرأس من قماش الشاش، وتوضع قبل لف العمامة وقد تلبس على الرأس بدون عمامة، أو ما يدور حول العمامة والطميم من نسيج سميك انظر: ماجد، نظم الفاطميين، جـــ٢، ص ٥٢ ؛
Dozy, *Supplément aux Dictionnaires arabes*, I-II, Paris, 1927, p. 240.

(2) المقصود بالمنديل هنا قماش التي تلف حول الرأس، والعمود الذهب آلة توضع عليها العمامة بعد ربطها كعلامـــة بعد تعميم المنديل .

(3) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤١٠ .

(4) ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٣٨ .

(5) أبو صالح الأرمنى، تاريخ أبى صالح المعروف بكتاب كنائس وأديرة مصر، طبعة اكسفورد، ١٨٩٥م، ص ٣٢ .

(6) القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٦٨ .

(7) كلوتة وجمعها كلوتات، غطاء للرأس، طاقية صغيرة تلبس وحدها أو بعمامة، انظر ابن تغـــرى بـــردى، النجـــوم الزاهرة، جـــ٧، ص ٣٣٠ ؛ سعيد عاشور، العصر المالكى، ص ٤٦٦ ؛
Dozy, *Supplément aux dictionnaires*, I, p. 589; II, p. 491; *Dictionnaire détaillé des noms des vêtements chez les arabes*, Amesterdam, pp 184. 387-388.

(8) ابن تغرى بردى، النجوم، جـــ٤، ص ٨٤

وكان محاطاً بقضبان الزمرد، أما طرفه فكان مثبتاً على قطعة من الحرير محاكة خفيفاً لكنها مثبتة بقوة على العمامة[١].

وعن "الحافر" أشار القلقشندى أنه عبارة عن قطعة ياقوت حمراء على شكل هلال، زنتها أحد عشر مثقالا، ليس لها نظير في الدنيا، تخاط خياطة حسنة على خرقة من الحرير، وبدائرها قضيب زمرد، تكون في وجه فرس الخليفة عند ركوبه في الموكب[٢].

وعلى هذا يمكننا مقارنة هذا "الحافر" مع هلال الزينة الذى كان على شكل نصف دائرة والذى كنا نراه في التيجان البيزنطية. كذلك يمكننا أيضاً تشبيه التاج الفاطمى بـ الطوفا Toufa البيزنطية[٣].

على أية حال، كان التاج الفاطمى قطعة اللباس الوحيدة التى هى جزء من شارات السيادة التى أشار إليها القلقشندى في الاحتفالات. ومما لا شك فيه أنه يوجد وجه للمقارنات بين لباس المراسم الرسمية في الإمبراطورية البيزنطية أم لباس المراسم فى البلاط الفاطمى، سواء فيما يتعلق بلباس الإمبراطور البيزنطي والخليفة الفاطمى أو لباس كبار رجال الدولة وكبار موظفيها، علماً بأننا يجب أن نضع في اعتبارنا الاختلاف القائم بين اللباس الشرقى والغربى.

الاحتفالات

كان من أهم ما يميز البلاط الفاطمى حفلاته البازخة، بحيث جعل لها مؤرخو مصر الإسلامية مكاناً بارزاً بين النظم الفاطمية الأخرى ؛ فكانت هذه الحفلات تتألف من "رسوم" تتبع بدقة في الأعياد الرسمية التى يشترك فيها الخليفة وخاصته، ورجال الدولة، في أيام مشهودة أثناء العام[٤]. ومن الواضح أن مثل هذه الحفلات والمراسم كانت معروفة في الإمبراطورية البيزنطية

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٥ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٨، ٤٧٣ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣، ٥٠٥ .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٧٣ .

(3) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 392.

(4) ماجد، نظم الفاطميين، ص ٣٩ . انظر أيضاً: عبد المنعم سلطان، المجتمع المصرى في العصر الفاطمى، دراسة تاريخية وثائقية، دار المعارف، ١٩٨٥م .

فكتاب المراسم والاحتفالات لقسطنطين السابع بورفيروجنتيوس، سجل للحفلات البيزنطية الدينية، فحفلات البلاط الفاطمي ورسومه كانت اقتباسا من حضارات ليست فقط معاصرة، وإنما أيضاً قديمة ترجع إلى أقدم العصور، فقد كان الفاطميون يحتفلون بأعياد مصرية خالصة، مأخوذة من التقاليد المصرية القديمة في موسم فيضان النيل[١].

لقد تمتعت الدولة الفاطمية بثراء عريض لم تعرفه الدول الاسلامية المعاصرة لها، انعكس هذا الثراء إلى بذخ وإسراف في مظاهر احتفالها بالأعياد والمواسم التى أبدعوا في تنظيمها وأنفقوا عليها دون حساب، حتى يخيل لمن يقرأ تفاصيل الاحتفال بالأعياد والمواسم والمناسبات المختلفة في ذلك العصر، أن أيام الدولة كانت كلها أعياداً وأعراساً[٢]، فلم يترك الفاطميون مناسبة دينية أو مذهبية خاصة أو عامة إلا وأطلقوا فيها العنان لبذخهم وتأنقهم معتمدين على ثراء دولتهم، وكأنهم أرادوا أن يظهروا لأعدائهم مدى ما هم عليه من ثراء وقوة فلا تحدثهم أنفسهم بالتجرؤ عليهم ؛ أو كأنهم أرادوا أن يلهوا رعيهم من أهل السنة عن أمور السياسة وما يقال من الطعن في نسبهم وأحقيتهم في الخلافة، فأكثروا من الاحتفالات التى كانت تنثر فيها الأموال على العامة، وتقام فيها الموائد الضخمة، والمواكب المهيبة التى تجذب إليها الأنظار والقلوب[٣].

وقد تعددت الأعياد أبان العصر الفاطمى، وانقسمت إلى أعياد عامة يشترك فيها الخليفة، وأرباب الدولة ورجال الجيش، وتشتمل على ركوب الخليفة في المواكب الرسمية، وجلوسه في القصر للاستقبال في مناسبات معينة، وكان يتبع فيها رسوم دقيقة، وهناك أعياد خاصة ذات صبغة مذهبية أو أعياد قبطية شعبية، يشارك فيها الخليفة وبلاطه بحسب رسوم معروفة، ويبتهج بها الشعب[٤].

---

(1) ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٤٢ .

(2) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٩٥، ٤٩٦ . أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٣٩، ٤٤ ؛ عبد المنعم سلطان، المجتمع المصرى في العصر الفاطمى، ص ١٢٥ .

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٨٤ وما بعدها . أنظر أيضا : عبد المنعم سلطان، المجتمع المصرى في العصر الفاطمى، ص ١٢٥ .

(4) ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ٤٤ – ٤٥ .

وتتمثل الأعياد العامة في ركوب الخليفة[١] وهى ستة ركوبات، ركـوب أول العـام[٢]، وركوب أول شهر رمضان[٣]، وركوب أيام الجمع الثلاث[٤] من شهر رمضان، وركوب صـلاة عيدى الفطر والأضحى[٥]، وركوب تخليق المقياس[٦] ثم ركوب فتح الخليج[٧]. وهنـاك مواكـب مختصرة وهى أقل درجة من المواكب العظام سواء في تكوين الموكب، أو في بذخ الملابس، أو في الآلات الملوكية[٨].

وهناك ما أطلق عليه أيضاً جلوس الخليفة الفاطمى، ففيها يجلـس الخليفـة للاسـتقبال الرسمى، ولا يخرج في موكب، وهو سبعة جلوسات كبرى، كلها مطبوعة بالبذخ والأبهة وهى :

- الجلوس الأسبوعى[٩].
- جلوس عرض الخيل[١٠].
- جلوس ليالى الوقود[١١].

---

(1) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٥ – ٤٩٠ .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٧ وما بعدها، ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ٥٨–٥٩ ؛ المقريـزى اتعاظ الحنفا، جـ٢، ص ٢٥ .

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٧١ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٤، ٨١ ؛ المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٦١ .

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٧٢ ؛ المسبحى، الجزء الأربعون من أخبـار مـصر، ٦٢ ؛ ابـن المـأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٤، ٨١ .

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٧٦، ١٨٢ وما بعدها ؛ ابن ميسر، المختصر من أخبـار مـصر، ص ١٥٩–١٦٠ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥١ ؛ اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ١٣٧–١٣٨ ؛ ابن المأمون، نـصوص من أخبار مصر، ٨٤ – ٨٥ .

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٨٩ ؛ المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ٣٧ وما بعدها .

(7) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٩٥ وما بعدها ؛ المسبحى، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ١٠–١١

(8) ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١١٠ .

(9) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٩ .

(10) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٣، ١٥٥ ؛ المقريزى، الخطـط، جـ١، ص ٤٤٧ ؛ القلقـشندى، صـبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٥ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٢، ص ٤٥٦-٤٥٧ .

(11) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٢٠، ٢٢٢ ؛ المقريزى، الخطـط، جـ١، ص ٤٦٦ ؛ القلقـشندى، صـبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠١ .

- جلوس مولد النبى[١].
- جلوس موالد الأجداد ومولد الخليفة الحاضر[٢].
- الجلوس لرسل الملوك[٣].
- الجلوس للمظالم[٤].

والجدير بالملاحظة أن المواكب التى أشرنا إليها آنفاً باختصار، لا يمكن مقارنتها مقارنة دقيقة، مع دخول أباطرة بيزنطة ظافرين بعد انتصارهم في المعارك الحربيـــة، تلـــك المراســـم الخاصة التى ورثها البيزنطيون عن الرومان. كذلك لا يمكننا مقارنتها مـــع المواكـــب ومراســـم الإمبراطورية الأخرى والتى كانت تصبغ بصبغة دينية، فقد كان جزء هام من المواكب يتم داخل القصر ذاته، وكان خيل الإمبراطور لا يشكل العنصر الأكثر أهمية، علماً بأن مواكب الفـــاطميين – عدا موكب التبرك بغدير خم[٥] – كل هذه المواكب كان لها طابع الخـــروج خـــارج القـــصر وخارج العاصمة، ويشارك فيها خيول الخليفة وعرض عسكرى.

ومن ناحية أخرى فإن موكب خيول الإمبراطور لم يكن له أبداً طابعاً عسكرياً خـــلاف الحال لدى الخليفة الفاطمى،ورغم هذا الاختلاف فهناك بعض التشابه في بعض المواكب بين خيـــل كل من الإمبراطور البيزنطي والخليفة الفاطمى[٦].

وفيما يتعلق بتنظيم موكب الإمبراطور البيزنطي عقب عودته من الاحتفال بيوم اثنـــين عيد القيامة المجيد الذى له أهمية كبيرة بين سائر الاحتفالات الدينية في القسطنطينية، شأنه شـــأن

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٧ ؛ المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٣٣ ؛ القلقـــشندى، صـــبح الأعـــشى، جـــ٣، ص ٥٠٢ .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١٧ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٦٢ .

(3) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٠٣ ؛ المنجد، كتاب رسل الملوك، ص ١٢٧-١٢٩ .

(4) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦ .

(5) "خُم" موضع بين مكة والمدينة، به غدير وحوله شجر كثير، كان الرسول (ص) عند عودته من مكة بعـــد حجـــة الوداع في اليوم الثامن عشر من شهر ذى الحجة سنة ١٠هـ قد نزل بهذا الغدير وآخى بينه وبين على بن أبـــى طالب رضى الله عنه . انظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ١٣، ص ٢٤١ .

(6) Canard, *Le cérémonial fatimite*, pp. 404-405.

الاحتفال بعيد الميلاد. ذلك أن يوم هذا العيد من المناسبات التى يحرص فيها على إتمام حفـــلات الزواج[١] كما سبق أن ذكرنا.

ففي صدارة موكب الإمبراطور البيزنطي – اي في رأس الموكب – توجد مجموعة من راكبي الخيل تضم حرس غرفة الإمبراطور والماجستررات[٢] Magistroi. وكان رجال الـــسلتو يمتطون خيولاً ذات زرد مزركشة وعلى جناح البطارقة كان الاسباثاروكانديدات. والأرجح هـــم جماعة من كبار الموظفين يمتطون الخيول حاملين القلادة، وبصحبتهم الاسباثيرات Spathaires وكان هؤلاء الاسباثيرات مسلحين بسيوفهم وتروسهم والدسترالیا Distralia – أي بلطهم – أمـــا الاسباثاروقبقلار Spatharo-Cubiculaire فقد كانوا يمتطون صهوة جيادهم بالقرب من حراس غرفة الإمبراطور على الجانبين ثم يأتى بعد ذلك مجموعة من الموظفين الملكيين الذين يقومـــون بالخدمات الشخصية للامبراطور على الأقدام منهم الكانديدات Candidates اي الحرس الـــذين يرتدون الملابس البيضاء، ومراسلى البريد، والاستراتورات[٣] Stratores اي حـــاملو الـــسلاح، وحرس الاسكلارية Skoularioi [٤].

---

(1) نجلاء مصطفي، مدينة القسطنطينية، ص ١٠٢ .

(2) "الماجستروس" من الألقاب الرفيعة فى الإمبراطورية البيزنطية، ظهر فى القرن التاسع ن وقد تلقب به عـــدد مـــن ذوى المنزلة العليا فى القصر بلغ عددهم بداية القرن العاشر اثنى عشر، أحـــدهم حمـــل لقـــب الماجـــستر الأول *Protomagistros*، وبلغ عددهم وقت سفرة ليوتبراند الكريمونى أربعة وعشرين، غير أن اللقب بدأ يفقد أهميته بمرور الوقت حتى أختفى على الأرجح فى منتصف القرن الثانى عشر.

Kazhdan , A., 'Magistros' , *The Oxford Dictionary of Byzantium* , II, p.1267; Bury , *Administrative System* , pp.29-33.

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 405.

الاستراتورات تعنى حاملى السلاح وأيضا ساسة الخيل، وربما يكون المعنى الأول هو الأكثر ملائمة، خاصـــة وأن الشق الأول من الكلمة ذو مدلول عسكرى، كما أنهم كانوا ضمن مرافقوا الإمبراطور (جاشـــيته)، وربمـــا كـــانوا يمشون فى موكبه، بالاضافة إلى اضطلاعهم بمهام تتعلق بالجياد القائمة فى مـــرابط الجيـــاد. طـــارق منـــصور، الجيش، ص١٦.

(4) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 505; Brehier, *le monde byantin*, p. 132

واحدة من فرق الحراسة الإمبراطورية والأعلى مقاما، وكان أفرادها فى أول الأمر مكلفين بالحراسة والمراقبة ليلا ونهارا فى القصر الكبير، حيث خصصت لهم قاعة تريكلينوس الأسكولات La Triclinos des Scholes التى تقع بعد ممر مدخل شالكيه، ومن هذه القاعة اشتقت الفرقة اسمها. طارق منصور، الجيش، ٢٧٥-٢٧٧.

وكان الإمبراطور يمتطى صهوة جواده ويحيط به حاملو السلاح من المشاة (اي وهم مترجلون) يحيط به البروتوستراتور Protostrator وقومس الإسطبل Comes Ton Stablon [1]، وفي الأمام كان يسير رئيس المراسم والـ السيلانتيرات Silentiaires[2] وهم الأشخاص المكلفون بالحفاظ على التزام الصمت في المواكب ربما، ثم يأتى البروتسباثيرات Protospatharioi من الخصيان يمتطون جياد ذات زرد مزركشة وكان يتبعهم لغثيت دروم Logothetes Tou Dromou[3] ثم يأتى بعد ذلك البروتوسباثيرات الذين ليسوا من الخصيان يمتطون هم أيضاً جياد مزركشة، وبعدهم أيضاً القوبيقولارات Koubikoulares يمتطون الجياد أيضاً وخلفهم درونجاريوس فرقة الفيجلا Droungarios Tes Viglas والمنجلابيتس Manglabites [4] وبقية الخدم الخاص بخدمة الإمبراطور، وأخيراً يأتى توبوتيرتس Topoteretes التاجماتا الإمبراطورية (فرق الحراسة الإمبراطورية الأربع)، والكونتات وكذلك على مسافة ما لحماية مؤخرة الموكب. ثم يأتى في ذيل الموكب تماماً توبوتيرتس الاريثموس Topoteretes Tou Arthimou وكان مكلفاً بمنع حشود الناس من الاختلاط ودخول

---

(1) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 405.

البروتوستراتور : سائس خيول الإمبراطور الشخصية فى القصر، ويعتبره البعض الرئيس الأكبر لمرابط الخيل الإمبراطورية، وقد ظهرت وظيفته فى منتصف القرن الثامن مع اختصاصات معينة بالإسطبلات الإمبراطورية وأخرى خاصة بالمراسم، وكانت مهمته الأساسية أن يعين الإمبراطور على إمتطاء صهوة جواده، ويقوم بمهمة ساسة الخيل مع قومس الإسطبل. طارق منصور، الجيش، ص١٦٦-١٦٧.

Bréhier, *Le monde byantin*, pp. 132, 145; Bury , *Administrative System* , pp.117-118.

أما قومس الإسطبل فيدير مرابط الخيل فى القسطنطينية، وكانت اختصاصاته واسعة، خاصة فى أوقات القتال، حيث كان لزاما عليه أن يمد الجيش بالشعير والدواب . طارق منصور، الجيش، ص١٦٩-١٧١.

Bury , *Administrative System* , pp.113-114.

(2) للتفاصيل عنه أنظر: Bréhier, *Le monde byantin*, p. 132.

(3) كان صديقاً حميماً للامبراطور البيزنطي، وأقرب المقربين إليه، ولا يبتعد عنه على الإطلاق . للتفاصيل، أنظر: Bréhier, *Le monde byantin*, pp. 120, 133, 151.

(4) أفراد طاقم حراسة الإمبراطور المصاحبين له، يتقدمونه فى المراسم والمواكب، ويقومون على تنظيم وتفريق الحشود المتزاحمة أثناء موكب الإمبراطور البيزنطي، وكانوا مسلحين بالسيوف، وبحكم مصاحبتهم الدائمة للإمبراطور فقد كانوا من أكثر المقربين له، وكان قائدهم يلقب بـ Protomanglabitai. انظر: Bréhier, *Le monde byantin*, p. 134; Kazhdan , A., 'Manglabites', *The Oxford Dictionary of Byzantium* , II,p.1284.

الموكب[1]، وكان فرس الإمبراطور مغطى بسرج ذهبى مرصعة باللؤلؤ والأحجار الكريمة. كذلك كانت سيقان الفرس وأقدامه مزينة بشرائط من الحرير.

وفي وصف آخر لموكب الإمبراطور ألا وهو الموكب المتوجه إلى كنيسة القديسين الرسل Saints-Apôtres نلاحظ بعض الاختلاف الطفيف ؛ فالأباطرة يسبقهم البريبوزيتس Preposites وكل القائمين على خدمة غرفة الإمبراطور، الجميع يمتطى جواده ؛ كذلك كان يأتى أيضاً أمام الإمبراطور كل المنجلابيتس Manglabites وكل الرجال المختصين بخدمة الإمبراطور شخصياً ؛ أما الماجستروسات ونواب القنصل والبطارقة والضباط الأقل مرتبة، والدنجير المكلف بالحراسة الليلية ودنجير الأسطول، فقد كانوا يتبعون الإمبراطور خلف أسلحة العرض الإمبراطورى، اي بمعنى أدق خلف الاسباثيرات Spatharioi المكلفين بحمل هذه الأسلحة وأحياناً يفضل الإمبراطور ركوب البحر في الدرمونة Dromon[2] الإمبراطورية بدلاً من اتخاذ الطريق البرى وذلك لحضور حفل دينى، وكان الإمبراطور يبحر مع القائمين على خدمته الشخصية وهم:

اللغثيت Logothetes، ودرونجاريوس الفيجلا Droungarios Tes Viglas، ورئيس فرقة الهيتارية Hetaireiarches [3]، وبعض الموظفين الآخرين وبقية الموكب، البريبوزيتس

---

(1) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 404.

التوبوتريتس : ويحمل أيضا لقب اسباثاروكانديدات، وهو بمثابة نائب دومستق التاجماتا الإمبراطورية (فرق الحرس الإمبراطورى الأربع)، وكان يتولى قيادة وحدات التاجما المرابطة فى الأقاليم، وكن نصف التاجمايخضع لأوامره، بينما يخضع النصف الآخر للكارتولاريوس . طارق منصور، الجيش،ص ٢٨٤، ٣٠٠. أما فرقة الأرثيموس فهى إحدى فرق التاجماتا الإمبراطورية، وتعرف أيضا بأسم أكثر شيوعا وهو الفيجلا، وكانت مكلفة بتأمين الإمبراطور وحماية القصر من الخارج، وعمل دوريات ليلية حول القصر، وفى حالة خروج الإمبراطور فى حملة عسكرية كان على درونجاريوس الفرقة وجنوده مصاحبته وملازمته أينما ذهب، وكان الدرونجاريوس مسئولا عن حراسة المعسكر وخيمة الإمبراطور، بالإضافة إلى قيامه بنقل أوامر الإمبراطور إلى القادة. طارق منصور، الجيش، ص٢٩٥-٢٩٨.

(2) للإبحار لمسافات طويلة، شيد الإمبراطور البيزنطي ليون السادس (٢٧٣-٣٠٠هـ / ٨٨٦ – ٩١٢م) سفنا واسعة كبيرة تسمى Dromon، حتى يتمكن من اصطحاب عدد كبير من كبار المسؤلين وسميت بدرمون الإمبراطور . انظر: Brehier, *le monde Byzatin*, p. 411.

(3) للتفاصيل أنظر: Bréhier, *le monde Byzatin*, pp. 411-412, 418, 422.

Preposites والماجستيرات Magistroi والقوبيقولارات Koubikoulares، وأيضاً أعضاء مجلس السناتو وغيرهم. كان كل هؤلاء – اي القائمين على خدمة الإمبراطور ينتظرونه في المكان الذى سيبحر منه حتى يستكمل سيره الاحتفالى[1].

ويمكننا هنا عقد بعض المقارنات والتقارب بين كل من الموكب البيزنطي والمواكب الفاطمية. فالمواكب البيزنطية كانت موضع ترتيبات سواء في الليل أو في النهار ذاته، وتذكرنا بما هو معمول به في البلاط الفاطمى بالقاهرة، فملابس الاستعراض والتاج الإمبراطورى وأسلحة الأباطرة وعصا سيدنا موسى عليه السلام، كانت معدة ومجهزة منذ الصباح الباكر للعيد المختص به ؛ أما الملابس، فقد كانت تتنوع في النوع واللون حسب الظروف ؛ فبينما كانت حلل الأبهة والاستعراض غالباً لونها أرجوانى ومطرزة بالذهب، كانت هذه الحلل بيضاء في عيد القيامة المجيد، وفي أسبوع الآلام[2].

ولقد رأينا تنوعات متشابهة ومتماثلة عند الفاطميين ؛ فكما كان الخليفة الفاطمى يغير لباسه في بعض الأحوال على سبيل المثال عند عودته من الموكب، كان الإمبراطور البيزنطي يغير لباسه خلال الاحتفالات كذلك كانت زينات الشوارع عشية المواكب موضع العناية البالغة. فكوالى القاهرة كان الايبارخيس مكلفاً بتنظيف ضواحى القصر الإمبراطورى الذى سينطلق منه الحكام، وكذلك الميادين المؤدية إليها، وكان يقوم بنشر نشارة الخشب، ويعمل على عرض الأقمشة المتنوعة، ويضع الزهور على الطريق الذى سيعبره حفل عيد القيامة المجيد أو أعياد النصر. ويبدو أنه لم يكن يوجد في الاحتفالات الإمبراطورية جياد تجر بالأيدى، عدا تلك التى

الهيتارية Hetaireia : فرقة حرس شخصى للإمبراطور تتضلع بحماية شخصه، وقد انقسمت إلى ثلاث أو أربع وحدات، وتألفت من المرتزقة الأجانب، خاصة من الخزر والماجيار وربما الروس وأتراك وسط آسيا، وقد حمل قائد هذه الفرقة مسمى Hetaireiarches، ومع نهاية القرن الحادى عشر تغير تكوين هذه الفرقة بحيث غدت تضم شباب من النبلاء البيزنطيين ودمجت وحداتها.

Kazhdan , A., 'Hetaireia', *The Oxford Dictionary of Byzantium* , II,p925.

(1) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 405-406.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p 406.

سيعود عليها الإمبراطور، اي سيستخدمها في طريق عودته، عندما تكون هذه العودة عن طريـــق الخيل، وهذا ما أشار إليه ابن رسته في وصفه للموكب الإمبراطورى[١].

والجدير بالملاحظة أن جواد الإمبراطور البيزنطي كان أبيض اللون، ومما لا شك فيـــه أنه كان تذكارا للنصر الرومانى القديم. وهناك أيضاً مركبة بدولابين تجرها أربعة جياد كان القادة الرومان المنتصرون يعودون بها[٢].

أما في بلاط الخلافة الفاطمية بالقاهرة، فلم يرد ذكر أن جواد الخليفة كان أبيض اللون، لكن يمكننا افتراض ذلك، لأن اللون الأبيض كان شعار الفـــاطميين[٣] ؛ أضـــف إلـــى ذلـــك أن المصادر العربية لم تذكر اي إشارة عن وجود جواد بلون أسود[٤].

أما فيما يتعلق بسير الموكب الإمبراطورى، فنجد اختلافاً قليلاً في تفاصيلها عن ســـير موكب الخليفة الفاطمى، فلا يوجد في البلاط الفاطمى ما يقابل أو يساوى وظيفة رئيس الاحتفالات أو المراسم والذى كان يصاحبه رجال يعملون على حفظ الصمت في الاحتفالات "الـــسيلانتيرات" Silentiaires وكان هؤلاء أمام الإمبراطور البيزنطي. أما قادة "صبيان الركاب" فلهم مثيل فـــي البلاط الإمبراطورى، إذ يقابلهم البروتوستراتور Protostrator وقومس الاسطبلات. وفيما يتعلق بالمراوح والمظلة وحاملى السيوف، فلا تعرفها بيزنطة. أما شرطة الموكب، فلم تكن على نفـــس النظام المعمول به في البلاط الفاطمى، فالمجموعات أو الكتائب الثلاث المكلفة بشرطة الموكـــب تمركزت في ذيل الموكب اي في مؤخرته، وليس على طول الموكب. والأمر هنا يتعلق بالإيبارخ Eparch الذى كان يسبق أحيانا الموكب لكى يحول دون ارتكاب اي خطأ متوقع أو مرتقب[٥].

---

(1) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص ١٣٣-١٣٤ ؛
Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 407.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 407-408.

(3) عبد المنعم ماجد، الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ٤١ .

(4) المقريزى، الخطط، جـــ١، ص ٤٤٥ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـــ٣، ص ٤٧٨ .

(5) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 407.

وقد تواجد خلف الخليفة "صبيان الركاب" والوزير مع حراسه، ويتشابه ذلك في الإمبراطورية البيزنطية مع البروتوسباثيرات Protospathaires واللغثيت[1].

كذلك يمكننا أن نلاحظ أحياناً بعض أوجه التشابه الأخرى. فالاحتفالات في بلاط الخليفة الفاطمى كما في البلاط البيزنطي يعقبها توزيع الصدقات والمنح اي الأعطية والهبات[2]. ويعقبها أحياناً المآدب والولائم عند الفاطميين[3] كما هو الحال عند البيزنطيين[4]. ولقد وصف كل من المقريزى والقلقشندى تفاصيل هذه المآدب والولائم في أعياد الفطر المبارك وعيد الأضحى "النحر" وعيد فتح الخليج وغيرها من الأعياد وصفاً تفصيلياً ودقيقاً[5].

وتضارع هذه الولائم مع الولائم العامة في بيزنطة في عيد القيامة المجيد وعيد الميلاد المجيد. كذلك كانت الدرمونة الإمبراطورية تشابه "عشارى"[6] الخليفة الفاطمى لا تستقبل على متنها إلا الحاشية الخاصة بكل من الإمبراطور البيزنطي والخليفة الفاطمى[7].

الاستقبالات والمراسم:

---

(1) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 408.

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦٧-١٦٨ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٦، ٤٥٤ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٤٩-٥٠٥ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـ٤، ص ٧٩ وما بعدها .

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢١١-٢١٢ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٨٤ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٢ .

(4) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 408.

(5) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ١٧٦-١٧٧، ١٨٢ ؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ١٥٩-١٦٠ ؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ١، ص ١٣٧-١٣٨ .

(6) "عشارى" جمع عشاريات . نوع من السفن كان يستعمل في البحر المتوسط وفي البحر الأحمر والنيل، ويبدو أن المستخدم منه في البحر نوع من القوارب الصغار التي تلتحم بالمراكب الكبيرة وذلك لنقل المسافرين فيها إلى الساحل . والنوع المستخدم في العصر الفاطمى كان خاصاً باستخدام الخلفاء وخاصة عند الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج . كما أن العشاريات كانت تستخدم مع المراكب الحربية حيث أرسلت في عام ٤١٥هـ لحفظ الحصون الشامية . ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠١ ؛ المسبحى، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١، ٢٣، ٤٣ . أنظر أيضا: درويش النخيلى، السفن الإسلامية، ص ٩٥، ١٠١ .

(7) Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 408.

كانت الاستقبالات المنتظمة أو التى تفوق العادة تتم في بيزنطة كما في القـاهرة وفقـاً لمراسم غاية في الدقة ؛ فقد كان في القاهرة الفاطمية استقبالات تتم مرتين في الأسـبوع بقاعـة الاستقبالات المسماه "قاعة المجالس" وتسمى "قصر الذهب" أحد قاعات القصر الذى هـو قـصر المعز[1]. وتتشابه في نقاط عديدة في الاستقبال اليومى في الخريسوتريكلينوس [2] ففـي جلـوس الخليفة الفاطمى في المجلس العام أيام المواكب، كان ذلك أول الأمر يتم في الإيوان الكبير[3] الذى كان بالقصر على سرير الملك الذى كان بصدره إلى آخر أيام المستعلى (٤٨٧هـ/١٠٩٤م)، فلما ولى ابنه الآمر (٤٩٥هـ/١١٠١م) الخلافة بعده، قام بنقل الجلوس من الإيوان الكبير إلى القاعة المعروفة باسم "قاعة الذهب" بالقصر أيضا، وصار يجلس من مجالسها في سرير الملك به، وجعل الإيوان الكبير خزانة للسلاح، ولم يتعرض لإزالة سرير الملك منه حتى مجئ الدولة الأيوبية وهو باق. وكان جلوس الخليفة في هذه الحالة لا يتعدى يومى الإثنين والخميس، وليس ذلك على الدوام بل على التقرير بحسب ما يقتضيه الحال[4]، فإذا أراد الجلوس فإن كان في الشتاء علق المجلـس الذى يجلس فيه بستور الديباج، وفرش البسط الحرير ؛ وإن كان في الـصيف، علـق بالـستور الدبيقية ما بين طبرى وطبرستان مذهب وهيئة المرتبة المعدة لجلوسه على سرير الملك بـصدر المجلس، وغشى السرير بالقرقوبى[5]، ثم يستدعى الوزير من داره بصاحب الرسالة على حصان رهوان في أسرع حركة على خلاف الحركة المعتادة، فيركب الوزير في هيئة وجماعة بين يديه الأمراء، فإذا وصل إلى باب القصر ترجل الأمراء وهو راكب إلى أول باب من الدهاليز الطوال عند دهليز يعرف بدهليز العمود[6]، ويمشى بين يديه أكابر الأمراء من مقطـع الـوزارة بقاعـة

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٧ .

(2) اي قاعة قصر الإمبراطور البيزنطي . انظر: Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 409.

(3) المسبحي، الجزء الأربعون من أخبار مصر، ص ٢٤ .

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٥ – ٢٠٦ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٥ ؛ ابن المأمون، نـصوص من أخبار مصر، ص ٣٥ .

(5) القرقوبى، نسيج ينسب إلى مدينة قرقوب بالقرب من تستر في خوزستان كانت من أكبر مراكز النسيج في العصر الإسلامى، ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٠ .

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٦١، ٢٠٦ .

الذهب، فإذا تهيأ جلوس الخليفة، استدعى الوزير من مقطع الوزارة[1] إلى باب المجلس الذى فيه الخليفة وهو مغلق وعلى باب ستر معلق، فيقف زمام القصر عن يمين باب المجلس وزمام بيت المال على يساره والوزير واقف على باب المجلس وحواليه الأمراء المطوقون[2] وغيرهم وفي خلالهم قراء الحضرة[3]، فيشير صاحب المجلس إلى الأستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر الخليفة المذكور، ويستفتح القراء بالقرآن الكريم، ويدخل الوزير المجلس، ويسلم بعد دخوله، ثم يقبل يدى الخليفة ورجليه، ويتأخر مقدار ثلاثة أذرع ويقف ساعة زمانية، ثم يخرج له مخدة عن الجانب الأيمن من الخليفة، تشريفاً ويؤمر بالجلوس عليها ويقف الأمراء في أماكنهم المقررة لهم، فصاحب الباب وأسفهسلار العساكر[4] من جانبى الباب يميناً ويساراً ويليهم من خارجه ملاصقاً للعتبة زمام الآمرية والحافظية، وباقى الأمراء على مرتبهم إلى آخر الرواق وهو إفريز عال عن أرض القاعة، ثم أرباب القصب والعماريات[5] يمنة ويسرة كذلك، ثم الأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة، ويقف مستنداً للصدر الذى يقابل باب المجلس نواب الباب والحجاب[6]، فإذا انتظم الأمر على ذلك فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضى القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام، فيجيز صاحب الباب القاضى دون من معه، فيسلم على الخليفة بأدب الخلافة، بأن يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة قائلاً بصوت مسموع : "السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته" فيختص بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام، ثم يسلم بالأشراف الأقارب

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٨ .

(2) "الأمراء المطوقون" . في زمن الخلفاء الفاطميين كان الأمراء على ثلاثة مراتب: المطوقون وأرباب القضب وأدوان الأمراء، أعلاهم المطوقون وعرفوا بذلك لأنه يخلع عليهم بأطواق الذهب في أعناقهم . ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٢٥ .

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١١٩ .

(4) قال ابن الطوير: "وصاحبها زمام كل زمام، وإليه أمر الأجناد والتحدث فيهم، وفي خدمته وفي خدمة الباب تقف الحجاب على اختلاف طبقاته"م . ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٣ .

(5) انظر: ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٢٥، ١٨٧، ١٦٣، ٢٠٨ ؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٩٠ ؛ والعمارية جمع عماريات . الهودج يجلس فيه، ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٩ ؛ ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٩٤، ٩٦ .

(6) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٧-٢٠٨ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٥؛
Canard, *Le cérémonial fatimite*, p. 409.

زمامهم وهو من الأستاذين المحنكين، وبالأشراف الطالبين نقيبهم، فتمضى عليهم ساعتان زمنيتان أو ثلاث، ثم يسلم عليه من خلع عليه بقوص أو الشرقية أو الغربية أو الاسكندرية، ويشرفون بتقبيل العتبة، وإذا دعت حاجة الوزير إلى مخاطبة الخليفة في أمر، قام من مكانه وقرب منه منحنياً على سيفه، ويخاطبه مرة أو مرتين أو ثلاثاً، ثم يأمر الحاضرين بالانصراف فينصرفون، حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله، فإذا خرج إلى الدهليز الذى ترجل فيه، ركب منه إلى داره، وفي خدمته من حضر إلى القصر، ويدخل الخليفة إلى سكنه ومعه خواص الأستاذين، ثم يغلق باب المجلس ويرخى الستر إلى أن يحتاج إلى حضور موكب آخر فيكون الأمر كذلك[1].

وكان نفس الاحتفال، أو ما يشابهه يتم عندما كان الخليفة يجلس في الشباك لعرض دوابه الخاص[2] وذلك قبل ركوبه أول العام[3] أو في عيد الفطر، ففي ركوبه أول العام، كان الخليفة يجلس على مرتبة عظيمة. أما الوزير فيقف ويسلم ويخدم بيده إلى الأرض ثلاث مرات، ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس، ويستفتح القراء بقراءة آيات لائقة بذلك المكان مقدار نصف ساعة، ثم يسلم الأمراء، ويسرع في عرض الخيل والبغال الخاص المقدم ذكرها واحدة إلى آخرها، فإذا اكتمل عرضها، قرأ القراء ما يناسب ختم ذلك المجلس، ثم يقوم الوزير ويدخل على الخليفة ويقبل يديه ورجليه، ثم ينصرف عنه، فيركب من مكان نزوله، ويخرج الأمراء معه إلى الخارج، فيمضون معه إلى داره ركباناً ومشاة على حسب مراتبهم[4]. أما في الحالة الثانية، اي في موكب عيد الفطر المبارك فالملاحظ أن المقريزى انفرد بالإشارة نقلاً عن ابن المأمون، أن في هذا الموكب يحضر إضافة إلى الأمراء السفراء والرسل[5].

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٠٨-٢٠٩ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ١٥ ؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٨، ٩١، المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٦ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٩٩-٥٠٠ .

(2) لا شك أن "عرض الخيل" كان يتم في فناء داخلى للقصر الشرقى الكبير بالقرب من "دهليز باب الملك" حيث كانت توجد "السهدلا" و "الشباك"، يتوصل إليه من باب العيد، ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٥٤ .

(3) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٩٧ .

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٧-١٤٨ .

(5) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٤٧، ٤٥٢ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥٠٤-٥٠٥ .

على أية حال ففي الموكبين لم يشر إلى صاحب المجالس، فالأمر لا يتعلق به فالاحتفال لا يتم في قاعة الذهب[1]. والملاحظ أن الطريقة التى يستدعى بها الوزير والتى يستقبل به تجعلنا نقارن بين ذلك وبين البروتوكول المعمول به عند مجئ اللغثيت Logothete عشية الاستقبال اليومى للخريسوتريكلينوس Chrysotriclinos ورفع الستار الإمبراطورى[2].

يمكن كذلك رفع الستار في البلاط الفاطمى، فالإمبراطور البيزنطي بمجرد استقراره وتربعه على عرش الإمبراطورية، يقوم باستدعاء اللوجوثيت بواسطة البابياسPapias، فيأتى اللغثيت مسرعاً إلى اللوزياكوم Lausiacum[3]، حيث تقام المنجلابيتس Manglabites، ويصدر أوامره إلى الأدمسيونااليس Admissionalis بالذهاب لإحضار اللوجوثيت إلى مستشارية البلاط الإمبراطورى، ويسمى اسيكريتيا Ascecreteia فيذهب الأدمسيونااليس إليها، ثم يعود ثانية إلى اللوزياكوم Lausiacum مسبوقاً باللوجوثيت اي بصحبته، ثم يتولى البابياس أمر اللوجوثيت ويدخله في خريسوتريكلينوس Chrysotriclinos وبمجرد دخوله، يقوم اللوجوثيت بالانبطاح – اي السجود – داخل الستار، بعد ذلك يتقدم نحو الإمبراطور البيزنطي[4].

وبالنسبة لاحتفال رفع الستار، فيتم بالطريقة التالية : فعلى سبيل المثال عشية إعداد الاحتفال في الكنيسة الكبرى Grande Église[5]، في التركلينوس Triclinos ذات التسعة عشر سريراً، فالإمبراطور بمجرد تربعه وجلوسه على عرش الإمبراطورية يدخل ويسجد أمامه كل من الركتير Recteur والبريبوزيتس Preposites والقوبيقلارات Koubikoulares [6] وبإشارة من

---

(1) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر ص ٨٤ .

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 410.

(3) كلف أراخنة اللوزياكوم Archontes de Lausiacum وحدهم بتسلم هدايا الإمبراطور بمناسبة الاحتفال بعيد تتويجه . وكان الرواق الذي كان على الموكب اجتيازه للوصول إلى قاعة القصر الإمبراطورى به مقاعد مخصصة لكبار رجال الإمبراطورية البيزنطية، كل له المكان المخصص له وفق مرتبته . انظر:
Bréhier, *le monde byantin*, pp. 134-135.

(4) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 411.

(5) كلمة فرنسية اي الكنيسة الكبرى اي كنيسة آيا صوفيا .

(6) الكوبيكولير مستشار مكلف بمائدة طعام الإمبراطور ومكان إقامته العائلية انظر:
Bréhier, *le monde byantin*, 57.

الإمبراطور، يعطى البريبوزيت إشارة من ملابسه إلى الأستيار[1] Ostiaire بصلوجانه الـذهبى الذى يخرج ليعطى كتباً من الجانب الأيمن قطبان الملـوك Catepano des Basilikoi[2] مع الدمستق Domestikos وضـباط الخريـسوتريكلينوس ورئـيس الاحتفـالات والمراسـم، والسيلانتيرات Silentiares اي المحافظين على صمت الاحتفال والأدمسيونياليس، وكان الاستيار يأتى إلى داخل الستار أما البريبوزيت، بإشارة جديدة من الإمبراطور، كان يعطـى أمـراً إلـى الأستيار بإشارة من ملابسه، بعد هذا الأمر كان الأستيار يسجد أمام الإمبراطور، ثم يلمس بيـده من الخلف الستار الذى كان هو أيضاً يتم رفعه من قبل السيلانتيرات، وذلك لكى يسمحوا بدخول المجموعة الأولى من كبار الموظفين. وكان هؤلاء يسجدون للامبراطور ثم يعودون ثانيـة إلـى أماكنهم. بعد ذلك يتم وضع العرش الإمبراطورى في مكان آخر، في رواق على شـكل حـرف (تى) T، وسط التريكلينوس Triclinos ؛ وتعاد نفس مراسم رفع الستار وذلك لإدخال مجموعة أخرى من الموظفين. وعلى هذا، فالاحتفال والمراسم هنا أكثر تعقيداً من الـبلاط الفـاطمى، ولا يوجد شئ من التشابه في عملية إدخال كبار الموظفين في مجموعات متتالية عند الفاطميين، فهذا النظام انفرد به البلاط البيزنطي[3].

والملاحظ أن هناك تشابهاً ملحوظاً بين المراسم الفاطمية والمراسم البيزنطيـة بـصدد استقبال السفراء والأجانب. فعشية الاستقبال في تريكلينوس قصر ماجناورا Magnaura لأرخون الطارون[4] Taron، فمجرد إدخال كبار المـوظفين، أشـار البريبوزيـت إلـى الاسـتيار ذات الصولجان الذهبى الذى قام بدوره بإدخال الماجستروس وأرخون الطارون فيقدم هـذا الأخيـر،

---

(1) "الأستيار" لقب من ألقاب الطواشى وشعاره عصا ذهبية بمقبض مزين بالأحجار الكريمة يسلمها الإمبراطور عنـه انظر: Guilland, *les eunuques*, p. 126.

(2) كاتيبانو البازيليكوس Catepano des Basilikoi هم رجال الباسليوس Basileus اي الإمبراطـور البيزنطـي، كان لهم طابعاً عسكرياً، وقد انقسموا إلى خمس فرق . انظر:
Bréhier, *le monde byantin*, p. 132.

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 411.

(4) "الأرخون" هو حاكم المقاطعة له سلطة قضائية مطلقة في مقاطعتـه إذا كـان أرخونـاً سـناتوريا . وأرخـون الطارون، أي حاكم اقليم الطارون بنواحي أرمينية. انظر:
Bréhier, *le monde byantin*, p. 228.

وكان قطبان الملوك بذراعه من جانب، ولغثيت الدروم من الجانب الآخر، فانبطح أرضاً تحت أقدام الإمبراطور، ثم اصطحب بواسطة مصاحبيه اي مرافقيه ليكون على مسافة قريبة من العرش الإمبراطورى. بعد ذلك يسأله اللوجوثيت أسئلته التقليدية، ثم يقوم الأرخون بتقديم هداياه، بعد ذلك يسجد ثانية للامبراطور ويخرج[1].

ومع ذلك نرى أحد السفراء يدخل في نفس المكان وبنفس المراسم، لكنه كان يمسك به قطبان الملوك أو قومس الاسطبل Comes Ton Stablon أو البرتوستراتور Protostrator مسبوقاً باللغثيت وبصحبته مترجم. أما السفراء المسلمون، فيتم إدخالهم بنفس الطريقة بواسطة قطبان الملوك أو قومس الاسطبل[2].

أما عند الفاطميين، فذلك بصفة عامة يقوم به نائب صاحب الباب، فشغله الشاغل العناية بالسفراء منذ قدومهم وطوال فترة إقامتهم، فعليه تقع مسئولية السهر على توفير كل احتياجاتهم، بل أبعد من ذلك عليه مراقبة خطاهم اي التجسس على تصرفاتهم وأعمالهم حفاظاً على أمن الخلافة، كذلك كان يقوم بتوصيل رسائلهم ويقدمهم إلى الوزير وإلى الخليفة، وعند إدخال السفير كان صاحب الباب يمسكه من يده اليمنى والنائب يمسكه من يده اليسرى[3].

وكان على النائب ألا يقبل الهدايا من السفراء إلا إذا حصل على إذن بذلك. وفي نص أورده المقريزى ذكر عكس ما تقدم، فقد أورد أن الوزير قام بإدخال السفير، وأن الوزير كان على اليسار منه وصاحب الباب على يمينه[4].

وعلى هذا نستخلص أن طريقة إدخال السفراء ترجع أصولها إلى أصول شرقية، هذا احتمال وارد. أضف إلى ذلك أن الطريقة المتبعة كانت واحدة في كل البلاطين الفاطمى والبيزنطي.

---

(1) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 412.

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 412 – 413.

(3) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١١٧-١١٨ ؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص ٣٤٢ ؛ الخطط، جـ١، ص ٤٦١ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨٨ – ٤٨٩ .

(4) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٠٣ .

كذلك يلاحظ أنه لا يوجد في البلاط الفاطمي حفلات تقليد وترقية وتنصيب على مرتبة كبيرة من الدقة والتفاصيل في المراسم كما هو موجود في البلاط البيزنطي، إذ نجد وصفاً مطولاً لذلك في الجزء الثانى من الكتاب الأول في كتاب المراسم والاحتفالات فعملية التنصيب أو التولية كان يصاحبها دائماً كما هو الحال في الإمبراطورية البيزنطية تسليم الشارات والخلع، ففي عام ٥١٥٨هـ / ١١٢١م خلع على القائد بن فاتك البطائحى المنعوت "بالمأمون" وزير الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ/١١٠١م) تلقى أولاً الشارات، ثم طوق ذهب وسيف ذهب، وأمر الخليفة الأستاذين المحنكين بالخروج بين يديه، وبعد مضى ثلاثة أيام تأمر بإحضار السجل، فقبله وسلمه لزمام القصر[1]، وأمر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس، وقدمت الدواة للمأمون فعلم في مجلس وتقدمت الأمراء والأجناد، فقبلوا الأرض وشكروا على هذا الإحسان، وأمر الخليفة بإحضار الخلع لحاجب الحجاب وباقى الأمراء هذا عن تنصيب الوزراء في البلاط الفاطمى[2].

أما عن التنصيب في الإمبراطورية البيزنطية، فالإمبراطور يلقى خطبة موجزه، أما الخليفة الفاطمى فلا يلقى خطبة في مثل هذه الاحتفالات، ولكن التوصيات التى يسد بها الإمبراطور البيزنطي في مناسبة كهذه، يبدو أنها تحوى نفس المضمون الوارد في شهادة التقليد (التنصيب) عند الفاطميين. وقراءة التقليد السابق ذكره بصوت عال يكاد يشبه هذه الخطبة الموجزة[3].

كذلك يمكن القول إن هناك بعض المقارنات الأخرى، فيمكن عقد مقارنة بين البلاطين فالابتهاجات الشعبية التى تصاحب ركوب الخليفة لفتح الخليج، ألا وهو مشهد المهرجين

---

(1) "زمام القصر" هو المشرف على القصر، وأحد الأستاذين المحنكين . القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٤٨١ . أنظر أيضا: حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، ص ٣١٢ ؛ الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، جـ٢، ص ٥٦٨ وما بعدها .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٠ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٢٠-٢١ ؛ ابن ميسر المنتقى من أخبار مصر، ص ٨٠ ؛ المقريزى، الخطط جـ١، ص ٤٤٠-٤٤١ .

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 413.

والبهلوانية أمام الجامع الطولونى[1]. يمكننا مقارنة ذلك بما يحدث في عيد جلسى العنب في القسطنطينية[2] كان هذا الاحتفال يأخذ مظاهر رسمية وشعبية. فقد كان الإمبراطور يحرص على حضور الاحتفال بهذه المناسبة في صحبة بطريرك القسطنطينية، حيث كان يجرى الاحتفال في أرض منبسطة في منطقة هيريا Hieria بضواحى العاصمة. وكان ينصب في وسط هذه المنطقة عرش خاص للامبراطور في المروج الخضراء أمام الكروم، وكان يحضر الاحتفال بطبيعة الحال كبار رجال الدولة يتقدمهم الوزراء والبطارقة وأعضاء مجلس السناتو[3].

ويرتدى الإمبراطور في هذه المناسبة زياً خاصاً يتكون من قولوبيون Colobion[4] والوشاح Sagion[5] الموشى بالذهب. ويرتدى البطريرك حُلة القداس وثوب بلا كُمين. وعندما يدخل الجميع إلى عرشة الكروم، التى وضع أمامها منصة من الرخام عليها بعض عناقيد العنب في سلال خاصة. ثم يبدأ البطريرك في إقامة قداس خاص. وبعد أن ينتهى من أدائه، يأخذ عنقوداً صغيراً من العنب، ويقدمه للامبراطور، الذى يقدم له في الوقت نفسه عنقوداً مماثلاً، كما يقدم الإمبراطور كذلك للبطارقة وأعضاء مجلس السناتو ورئيس الاحتفال، عناقيد العنب تحية منه لهم، وسط نغمات الموسيقى التى ينشد عليها المنشدون. وخلال ذلك يتم توزيع العناقيد على ممثلى حزبى الخضر والزرق[6]، ويتبع ذلك منحهم – كل على حدة – هبة مالية قدرها ست

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٩٥ وما بعدها ؛ المقريزى، جـ١، ص ٤٧٧ .

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 413.

(3) نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص ١٠٨ .

(4) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 413-414.

(5) انظر : Henry, *Byzantine Court Culture*, p. 45.

(6) يعتبر الملعب بهجة الشعب في القسطنطينية، وبدونه تصبح الحياة جافة لا غناء فيها . وفي الملعب كانت تقام مباريات في سباق العربات . وكان اللاعبون ينقسمون إلى حزبين، حزب اللون الأزرق وحزب اللون الأخضر . لمزيد من التفاصيل انظر : ابراهيم العدوى، الإمبراطورية البيزنطية، ص ١٧٩ ؛ ثروت عكاشة، الفن البيزنطي، ص ٣٢-٣٣ .

نوميزمات[1]، يهتف بعدها الحزبان. وأخيراً يصعد كبار رجال الدولة مع البطريرك إلى قصر هيبريا الواقع في ضواحى العاصمة البيزنطية، لتناول العشاء الفاخر في صحبة الإمبراطور[2].

وفي مقابل ذلك هناك أعياد خاصة أوجدتها بواعث مذهبية، أو تقاليد قبطية، فكانت الدولة الفاطمية تحتفل بها برسوم معروفة، نعرف أن الفاطميين أسسوا في مصر دولة مذهبية، تختلف في مذهبها الشيعى عن مذهب الشعب المصرى السنى، لذلك كان من الطبيعى أن يعمل الفاطميون على الإبقاء على ذكريات مذهبهم الشيعى، منذ ظهوره وصراعه، إلى أن أصبح دولة كبرى، ولما كانوا يعرفون أن الشعب المصرى السنى لديه إحساس طبيعى بالعداوة ضد مذهب غير مذهبه، فإنهم – تحاشياً لإغضابه – كانوا يحتفلون بهذه الذكريات في أوساطهم الخاصة، بين أشياعهم وموظفيهم، الذين كانوا بالضرورة من أنصار مذهب الدولة، وقد وجد بعض الخلفاء الغلاة، الذين لم يترددوا في جعل هذه الأعياد الخاصة أعياداً مشروعة عامة[3].

---

(1) النوميزما أو الصولدى Solidus هى العملة البيزنطية الذهبية في العصر الباكر وحتى القرن الثامن، كانت الوحدة الذهبية للعملة البيزنطية Nomisma = ٢ Semissis ذهبية، و = ٣ tremissis ذهبية، كما كان لها وحدات فضية فتساوى = ٢٤ Keratia أو ١٢ miliaresion

انظر: Hendy, M., "Byzantium, 1081-1221: An Economic Reappraisal",*Transactions of the Royal Historical Society*, Ser. 5, 20 (London, 1970) 31-52, esp. 42-43.

وفي عهد الكسيوس كومنينوس (١٠٨١-١١١٨م)، أصدر عام ١٠٩٢م عملة جديدة ذهبية حلت محل النوميزما في المعاملات المالية، وهى الهيبربيرون ويعني الاسم حرفيا "المطهر بالنار" ويزن ٤,٥٥ جراماً من الذهب .

Lopez, R. "The Dollar of Middle Ages", *Journal of Economic History* 11 (1951). P. 212.

وتعتبر النوميزما بمثابة التطور الأول للصوليدى Solidus الذي تم ضربه في عهد الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٠٦-٣٣٧) وكان يزن ٤,٥٥جم من الذهب، ويساوى ٠,٧٢ من الرطل من الذهب . انظر أيضاً:

Whitting, *Byzantine Coins*, New york, 1973, p. 294; Lopez, *The Dollar*, p. 209.

وقد قام النظام النقدى الذي وضعه قسطنطين وخلفاؤه على النوميسما . وقد كتب كوزماس أنديكوبليوستس Cosmas Indicopleustes – ملاحظ الأقاليم الهندية – في القرن السادس الميلادى يقول: "تقوم التجارة عند الشعوب كافة باستعمال النوميسما حتى نراها مستخدمة من أدنى الأرض إلى أقصاها" انظر:

Cosmas Indicopleustes, Topographie Chretienne, *Patrologiae Graecae*,LXXXVIII, p. 148.

(2) نجلاء شيحة، مدينة القسطنطينية، ص ١٠٩ .

(3) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٩٩ . أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١٢٥-١٢٦ .

ومن هذه الأعياد ذكرى مقتل الحسين بن علي بكربلاء في العاشر من المحرم عام ٦١هـ/٦٨٠م ويطلق عليه بسبب ذلك "عاشوراء"[1] ففي ذلك اليوم تقيم الدولة احتفالاً بسيطاً يتناسب مع هذه الذكرى الحزينة، وتغلق الدكاكين وتعطل الأسواق[2].

يتشابه ذلك مع "عيد العهد" في الإمبراطورية البيزنطية، إذ إن الإمبراطور – علامة على حزنه – لم يكن يرتدى ملابس الاحتفالات والمواكب الرسمية، بل كان يرتدى الأكسيما Anaxima أي ملابس العروض مثل عروض الخيل، ومما لا شك فيه أن الصدفة وحدها هي التي جعلت بعض الاحتفالات تتطابق مواعيدها وتواريخها في كل من البلاط البيزنطي والفاطمي، إذ يلتقي البلاطان في العشرين من يوليو، فبيزنطة تحتفل آنذاك بعيد القديس الياس Saint-Elie وكان ذلك في العشرين من شهر يوليو [3].

كذلك تلتقي في نفس هذا اليوم الاحتفال بإطلاق سراح ليو السادس[4] على يد والده، أما في القاهرة الفاطمية، فقد كانوا يحتفلون في ١٦ من شهر محرم بإطلاق سراح الخليفة الحافظ عام ٥٢٦هـ/١١٣١م، الذى حجزه وزيره لمدة عامين[5].

وكان حال البلاط الفاطمى كحال البلاط البيزنطي، فذلك الحدث كان يتم الاحتفاء به في داخل القصر، دون احتفالات خارجية[6]. إلا أن هناك احتفالات تذكارية كانت تتم في البلاطين يمكن التفريق بينها. مثل ذكرى مولد الخليفة الحاكم. كذلك كان الحال في البلاط البيزنطي، إذ كانوا يحتفلون بعيد ميلاد الإمبراطور الحاكم[7].

---

(1) انظر ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٢٢٣ – ٢٢٤ ؛ ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١٦٤ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ١٥، ٥٨، ٥٩ ؛ المقريزى، اتعاظ الحنفا، جـ٣، ص ٩٧ ؛ الخطط، جـ١، ص ٤٣١ .

(2) ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١٢٨-١٢٩ .

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 414.

(4) Canard, *le cérémonial fatimite*, pp. 414-415.

(5) ابن ميسر، المنتقى من أخبار مصر، ص ١١٣ ؛ المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٣١ .

(6) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٣٨٩-٣٩٠ ؛ Canard, *le cérémonial fatimite*, p.414

(7) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٣٢ ؛ Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 414 .

ويمكن مقارنة مقرئ القرآن الكريم الذين لهم مكانتهم في كل مواكب الخليفة الفاطمى[1] بمكن مقارنتهم بالكورال الدينى في بلاط الإمبراطور، ويسمون "بسالاي" Psallai[2]. ولا شك أن كلا منهما كان له مذاقه الفنى لاختيار الترتيلة الدينية أو النص القرآنى الـذى يـتلائم مـع كـل مناسبة[3].

وكان الخليفة الفاطمى يلقى خطبة في عيد الفطر وعيد النحر، وكذلك في أيـام الجمـع الثلاث من شهر رمضان[4]. فمراعاة لكل نسبة مع الفارق، فالإمبراطور البيزنطي كان زعيمـاً دنيوياً وهيروس Hiéreus اي زعيماً دينياً ؛ كما كان الخليفة الفاطمى زعيماً روحياً ودنيوياً فـي آن واحد. ويمكننا مقارنة ذلك من خلال العظة الأخلاقية التى كان يلقيها الإمبراطور البيزنطي في الأسبوع الأول من الصيام في التريكلينوس الكبير Triclinos لقصر ماجناورا Magnaura[5].

وفي هذه الأحوال، كان الإمبراطور البيزنطي في الأسبوع الأول من الصيام – قبل عيد القيامة – يلقى عظة أخلاقية على الحضور يقف على درج العرش على اليمين واليـسار، مـن الدرج الأول إلى الدرج الأخير الاسيكريتيس Asecretis والنوتاريوي Notarioi ؛ وكان علـى هؤلاء أن يتلقوا كتابة أقوال الإمبراطور البيزنطي، وكان اللوجوثيت يقف على الدرج الأول على اليمين في اتجاه الشرق، وكذلك الاسكرتييس الأول البروتونوتـاريوس Protonotaire. وكـان الإمبراطور يخرج من مكان مغلق بدرابزين ويطلق عليه درابزين الدولـة Cancel، ثـم يأخـذ مكانه في الدرج الأول، وبعد التهليل والهتاف، ينتظر حتى يعم الصمت ؛ بعـد ذلـك، يتحـدث الإمبراطور كذلك كان حال الخليفة الفاطمى، فبعد أن يعتلى المنبر، يقف عدد مـن الشخـصيات على درجات المنبر، اي يأخذون مكانهم على الدرج، وكان الوزير والقاضى هما الأكثر قرباً من

---

(1) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١١٩–١٢٠ ؛ ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٩ .

(2) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 414.

(3) المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٢ ؛ Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 414.

(4) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٧٢–١٧٦، ١٨٢ .

(5) انظر صفحة ٨٢ – ٨٣ من هذا البحث .

الخليفة، وعندما يكون الجميع في مكانه وينتشر الصمت بين الجميع، يبـدأ الخليفـة فـي إلقـاء خطبته[1].

ويبدو أن خطبة الخليفة يعدها دائماً الدواوين المختصة بذلك. فقد أورد القلقشندى ذلك[2] وكذلك الوضع بالنسبة لبقية خطب الخليفة. أخيراً نلاحظ أيضاً أنه في القاهرة كما في بيزنطـة، اعتاد إشراك الضيوف والسفراء في الحفلات والمواكب الكبرى حتى تبهرهم وإعطـائهم فكـرة كاملة عن مدى قوة ونفوذ وثراء كل من الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الفاطمية.

---

[1] المقريزى، الخطط، جـ١، ص ٤٥٤-٤٥٥ ؛ القلقشندى صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥١٣؛
Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 415.

[2] القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥١١ .

الخاتمة:

كشفت لنا دراسة المؤثرات الحضارية بين البلاطين البيزنطي والفاطمى عن بعض الاختلافات في الاحتفالات التى أشار إليها المقريزى، فهذه الاختلافات ترجع إلىكون بعض المراسم تعود إلى عصور قديمة أو إلى عصر الخليفة الآمر بأحكام الله (٤٩٥هـ/١١٠١م) والمثال على ذلك وصف ابن المأمون[١]، أو إلى فترة متأخرة مثل وصف ابن الطوير[٢].

وأثبتت هذه الدراسة أيضاً عن بعض الاستمرارية في مختلف هذه المراسم، اي أن التغيرات لم تكن سريعة بل بطيئة كحال النظم الحضارية، وأكدت هذه الدراسة أيضاً أن أوجه التشابه تكون أحياناً قوية، فنجد تشابهاً كبيراً بين نظم القصر وأبهة البلاط وشارات الحكم والمواكب والاستقبالات والأعياد المختلفة، وطقوس تبجيل واحترام الخليفة أو الإمبراطور، إذ إن الرسوم البيزنطية في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين ليست إلا استمراراً لحالة سابقة دامت دون تغيير يُذكر حتى عصر الحروب الصليبية [٣]. كما أن الرسوم الفاطمية التي بلغت أوج ازدهارها في القرن السادس الهجرى الثانى عشر الميلادى وجدت بالفعل منذ بداية الخلافة الفاطمية بشكل أبسط مما أصبحت عليه في نهاية الدولة. مع ملاحظة أنه يوجد اختلاف طفيف في كل منهما، فمواكب الاحتفالات التى لها في بيزنطة طابع كهنوتى دينى ومدنى أكثر تمييزاً، نجد في القاهرة الفاطمية المواكب لها طابع عسكرى يظهر فيه للخيول دور أكثر عمقاً ؛ وفي نفس الوقت كانت لهذه المواكب بصمات شرقية لا جدال فيها منها : المظلة، والمراوح، مقعد لامتطاء الجواد.

وبينت الدراسة من جهة أخرى أن الخلافة الفاطمية والإمبراطورية البيزنطية كانا يهدفان إلى استعراض قوة كل منهما، ومدى فخامتهما وثرائهما لاتباعهما وللأجانب حتى يشهدوا ذلك. لكن يبدو أحياناً أن الهدف من نظم هذه المواكب هو إظهار ديناميكية الدولة الحسنة التنظيم، فقد حرص على ذلك كل من البيزنطيين والفاطميين.

---

(1) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٥٨، ٥٩، ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٨٧ .

(2) ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٤٧ وما بعدها .

(3) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 356.

وأكدت هذه الدراسة من جهة أخرى أن احتفال عودة يوم الاثنين من عيد القيامة المجيد في بيزنطة كان يحتفي به أكثر من ذلك المحتفي به في القاهرة بمناسبة أول العام الهجرى[1].

وخلصت هذه الدراسة أيضاً إلى أن الاحتفالات الشعبية المصرية مثل ركـــوب تخليـق المقياس[2]، وركوب فتح الخليج[3]، اضطر الفاطميون للاحتفال بهما لأسباب سياسية واقتصادية.

وكشفت هذه الدراسة أيضاً على أن فكرة تنظيم أمور الدولة والمراسم المعقدة التى يشهد عليها المؤرخون العرب، يبدو أن كل هذا نبت في الشمال الإفريقى، وتطور ليصل إلى ما وصل إليه في مصر ؛ ولدينا دليل على ذلك، ففي الشمال الإفريقى على عهد الخليفة المعـز لـدين الله الفاطمى (٣٤١هـ/٩٥٢م) تواجد عناصر المواكب والاحتفالات[4]. وتطـورت مثـل المواكـب والمظلة أما بعد أن تمكن الفاطميون من توسيع رقعة دولتهم وفتحوا أراضى أكثر تحـضراً مـن بلاد البربر، وهى بلاد اعتادت على الرفاهية والفخامة، لذا لم يكن أمام الفاطميين اي عائق أمـام النهوض بمراسم واحتفالات ومواكب دولتهم. ولذا وجـد تـشابه ملحـوظ مـع الإمبراطوريـة البيزنطية، بحيث نلمس التنافس القائم في هذا الصدد بـين الخلافـة الفاطميـة والإمبراطوريـة البيزنطية جارتها.

كذلك ألقت هذه الدراسة الضوء على التقليد الذى وجد لبيزنطة ومراسمها، اي ما نقلتـه بيزنطة عن الفاطميين في نظم الاحتفال والمراسم والمواكب. فنلاحظ أن المراسـم والاحتفـالات البيزنطية كانت خليطاً من عناصر رومانية وأخرى شرقية، ويجب أن ننسب هذا الدور الهام الذى

---

(1) كان الفاطميون أول من احتفل برأس السنة الهجرية في مصر . انظر محاسن الوقاد، احتفال الفـاطميين بـرأس السنة الهجرية، تحت الطبع .

(2) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧٥ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٨٩ ؛ المقريزى، الخطـط، جـ١، ص ٤٧٦ – ٤٧٧ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، ص ٥١٦ – ٥١٨ ؛ ابن جبير، رحلة ابن جبير، ص ٥٤ ؛ المقدسى، أحسن التقاسيم، ص ٢٠٦ . أنظر أيضا: ماجد، نظم الفاطميين، جـ٢، ص ١٠٥ .

(3) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ص ٧٤، ٩١ ؛ ابن الطوير، نزهة المقلتـين، ص ١٩٥ ؛ المقريـزى، الخطط، جـ١، ص ٤٧٣-٤٧٤ ؛ القلقشندى، صبح الأعشى، جـ٣، ص ٥١٨ ؛ ابن تغـرى بـردى، النجـوم الزاهرة، جـ٢، ص ٤٨١ .

(4) Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 417.

قام به أناس أتوا من أقاليم مختلفة للامبراطورية، على سبيل المثال عمال فاطميين ذوى أصـــول أوربية مثل القائد جوهر الصقلبى، الذى قام ببناء مدينة القاهرة والقصر الشرقى، فالهـدايا التـــى قدمها جوهر إلى المعز عند وصوله إلى مصر، يتضح منها ذوقه الرفيع وبذخه[1].

وألقت الدراسة الضوء أيضاً على أن جيش جوهر وجد به كتيبة مـن الـروم اي مـن البيزنطيين ؛ أضف إلى ذلك أن المؤسسات البيزنطية ونظم البلاط فـي القـصر الإمبراطـورى البيزنطي في القسطنطينية كانت معروفة في القاهرة الفاطمية عن طريـق العلاقـات الـسياسية والسفارات المتبادلة. وعلى هذا انتهزت الخلافة الفاطمية الشابة الفرصة لتقليـد الإمبراطوريـة البيزنطية بل إلى منافستها في هذا الصدد.

وأثبتت هذه الدراسة أن الفاطميين – منافسى العباسيين – قلدوا ونموا وتأثروا وتفوقـوا على تقاليد الاحتفالات العباسية المستحدثة من تقاليد الاحتفالات الساسانية. ولا يستبعد كـذلك أن الفاطميين قد أرادوا محاكاة العديد من الاحتفالات البيزنطيـة لمنافـسة أبهـة وعظمـة بـلاط الإمبراطور البيزنطي.

أما الاحتفالات الوطنية فلا شك أن لها أصلاً محلياً بسبب خصوصيات هذه الاحتفالات. لقد أراد الفاطميون التفوق على منافسيهم العباسيين. فالمواكب ذات الطابع الدينى، خاصة موكب – عيد الفطر وعيد النحر – كان معمول بهما في سامرا في بغداد مع حشد قوات حربية هائلة في هذين الموكبين.

كذلك كان كل الخلفاء، سواء الأمويين أو العباسيين حتى عهد الخليفة الراضى (٣٢٢هـ / ٩٣٤م)، كل هؤلاء الخلفاء كانوا يتوجهون إلى المسجد يوم الجمعة لحضور الـصلاة وإلقـاء الخطبة، وكان يصاحبهم في هذه المناسبة حرسهم.

وتواجد في بغداد أيضاً بعض الاحتفالات والمواكب غير الدينية، يقوم بهـا الخليفـة أو وريثه الشرعى أو حتى الوزير عندما يتم تقليده الوزارة[1].

---

(1) Lev,Y, 'The Fatimids and Byzantium, 10th-12th Centuries', *GrA* 6(1995), pp. 198-199.

وأبرزت هذه الدراسة أن "التاج" كان موجوداً في بلاط الخلافة العباسية في بغـــداد، ولا يعرف الإسلام التاج الملكى ولا التتويج كما نفهمه رمزاً لسلطان الملك، فإذا ذكرت التيجان فإنما يقصد بها تيجان الملوك النصارى وغيرهم – ويلوح أنه لم يصبح لأمير المسلمين تـــاج إلا فـــي الوقت الذى ورد فيه ذكر "تاج الخليفة"، ولم يظهر هذا التاج الذى هو من آلات الموكب إلا فـــي عهد العباسيين، ويظهر أن هؤلاء قد أخذوا بالتقاليد الفارسية في هذا الشأن ليتميزوا عن الخلفـــاء الراشدين وخلفاء بنى أمية. كذلك وجدت المظلة وهى الشمسة أو الشمسية عند العباسيين، وكانت تحمل على رأس الخليفة في المواكب ويختص بحملها أحد المقربين، واتخاذها كان من القمـــاش الفاخر وتزين بالجواهر والشرائط الملونة والمذهبة[٢].

ومن المحتمل أن هناك مؤثرات إيرانية تركية تأثر بها البلاط الفاطمى في القاهرة على الأتراك الفارين من بغداد مع أفتكين أو البتكين أو هفتكين[٣] في نهاية القرن الرابـــع الهجـــرى / العاشر الميلادى. ومواطنيهم ومناصريهم الذين تم إدخالهم في الجيش الفاطمى بانتظام منذ ذلـــك الحين من قبل الفاطميين. ومنذ ذلك الحين ظهر في الأفق الإكثار مـــن الأتـــراك فـــي الجـــيش الفاطمى.

وبينت الدراسة من جهة أخرى أن الفاطميين تأثروا بالعباسيين في كثير مـــن عناصـــر الاحتفالات مثل الزى أو اللباس الرسمى الذى كان من قواعد الرسوم في البلاط العباسى، بل إن الزى من أهم القواعد الأساسية التى تقوم عليها رسوم البلاط، وأحـــد المعـــالم البـــارزة لأعيـــاد وحفلات دار الخلافة العباسية، ومظهر من مظاهر الأبهة والجلال خصوصاً في المواكب الخليفية وحفلات الاستقبال الرسمى والأعلام التى اتخذها العباسيون شـــعاراً لـــدولتهم، ولتمييـــزهم فـــي

---

[1] عمر محمد سعيد موعد، نظم بلاط العباسيين وروسومه في بغداد (١٣٢هـــ - ٦٥٦هـــ / ٧٥٠م – ١٢٥٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس كلية الآداب، ١٩٨٠م، ص ٢١٥ وما بعدها .

[2] عمر محمد سعيد، نظم بلاط العباسيين، ص ١٦٦ ؛

Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 419.

[3] ابن ايبك، الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر، وهو الجـــزء الـــسادس، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦١م، ص ١٦٧ ؛ ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، جـــ٤، ص ١٠٨ . أنظر أيضا: ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، القاهرة ١٩٦٤م، ص ١١٩ .

المواكب والحروب، وكانت راياتهم تعرف بالمسودة، والطبول للضرب بها في المواكب والأعياد والمناسبات المختلفة وأوقات الصلوات والأبواق وهى آلات من النحاس ينفخ فيها على أبواب الخلفاء في المناسبات الخاصة، عند الركوب أو الحرب أو نحو ذلك واتخذها العباسيون تقليداً للفرس فصارت من علامات الأبهة والملك[1]. والشارات التى هى من قواعد الرسوم في البلاط العباسى ويقصد بها شارات الخلافة التى يلبسها أو يحملها الخلفاء، في الأعياد والمناسبات المختلفة توكيداً على شرعية خلافتهم ورئاستهم في قيادة الدولة والأمة[2].

---

[1] عمر محمد سعيد، نظم بلاط العباسيين، ص ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨ .

[2] عمر محمد سعيد موعد، نظم بلاط العباسيين، ص ١٥٨ ؛

Canard, *le cérémonial fatimite*, p. 419.

قائمة المصادر والمراجع

أولا : المصادر

أ: المصادر العربية والمعربة

- الادريسى (محمد بن محمد بن عبد الله الشريف ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت ١٩٨٩م.

- ابن أبى الفضائل (مفضل ابن أبى الفضائل ت ٧٦٠هـ / ١٣٥٨م) تاريخ سلاطين المماليك أو النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، نشره وترجمه للفرنسية وعلق عليه هـ. بلوشيه

E. Blochet, *Patrologia Orientalis*, XII, XIV, XXII, Paris, 1919.

- ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس المصرى ت.٩٣٦هـ/١٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور المعروف بتاريخ مصر. ط بولاق ١٣١١هـ.

- ابن أيبك الدوادارى (أبو بكر عبد الله بن أيبك ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) الدولة الفاطمية، من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر وهو الجزء السادس، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٦١م.

- ابن بطوطة (عبد الله بن محمد بن ابراهيم ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م) رحلة ابن بطوطة المعروفة بـ (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، بيروت ١٩٦٠).

- ابن تغرى بردى (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، طبعة دار الكتب المصرية حتى جـ١٢، القاهرة ١٩٥٠م.

- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبى توفى أواخر القرن ٤هـ/١٠م) صورة الأرض، دار الكتاب، القاهرة، د.ت.

- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت حوالى عام ٣٠٠هـ/٩١٢م) المسالك والممالك، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة د.ت.

- ابن خلدون (عبد الرحمن بن عمر ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) مقدمة ابن خلدون، بيروت ١٩٨٤م.

- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين بن محمد ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، نشر محيى الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٤٨م.

- ابن دقماق (صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر ت ٨٠٩هـ/١٤٠٦م) الانتصار لواسطة عقد الأمصار، القاهرة ١٩٨٣.
- أبن رسته (أبو على أحمد بن عمر ت٣٣٧هـ/٩٤٨م)الأعلاق النفيسة، م ٧، ليدن ١٨٩١م.
- ابن عبد الظاهر (محيى الدين بن عبد الظاهر ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م)الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض، ١٩٧٦م.
-الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة، تحقيق أيمن فؤاد، الطبعة الأولى، بيروت – لبنان ١٩٩٦م.
- ابن الطوير (أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسرانى ٥٢٤-٦١٧هـ/١١٣٠-١٢٢٠م) نزهة المقلتين في أخبار الدولتين، أعاد بناءه وحققه وقدم له أيمن فؤاد سيد، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٢م.
- ابن ظافر (جمال الدين أبو الحسن على بن أبى منصور ظافر الأزدى ت ٦١٢هـ/١٢١٥م) " أخبار الدول المنقطعة "، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدمة وتعقيب أندريه فريه، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٢م.
- ابن الفراء (أبى على الحسين بن محمد) رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٤٧م.
- ابن فقيه الهمذانى مختصر كتاب البلدان، ليدن ١٣٠٢هـ.
- ابن المأمون (الأمير جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البطائحى ت ٥٨٨هـ/١١٩٢م) "نصوص من أخبار مصر" حققها وكتب مقدمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة، ١٩٨٣م.
- ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف ت ٦٧٧هـ/١٢٧٨م) المنتقى من أخبار مصر، تحقيق أيمن فؤاد سيد، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٧م.
- ابن هشام سيرة ابن هشام، القاهرة، د.ت.
- ابن واصل (القاضى جمال الدين الحموى ت ٦٩٧هـ/١٢٩٧م) مفرج الكروب في أخبار بنى أيوب، جـ١ تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٥٣م.

- أبو شامة (شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل ت ٦٦٥هـ/١٢٦٨م) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، مطبعة النيل القاهرة ١٢٨٧ – ١٢٨٨م.

- أبو صالح الأرمنى (أبو المكارم سعد الله بن جرجس عاش في القرن ٦هـ/١٢م) "تاريخ الكنائس والأديرة"، طبعة لندن ١٨٩٥م.

- البغدادى (عبد القاهر بن طاهر بن محمد ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) الفرق بين الفرق، مكتبة صبيح، د.ت

- الرشيد بن الزبير (رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير ت ٥٦٢هـ / ١١٦٦م) "الذخائر والتحف" تحقيق محمد حميد الله، الكويت – سلسلة التراث العربى ١٩٥٩م.

- القلقشندى (أحمد بن على بن أحمد ٨٢١هـ/١٤١٨م) "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، ١-١٤، القاهرة – دار الكتب المصرية ١٩١٢-١٩٣٨م.

- الماوردى الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط أولى، القاهرة ١٩٦٠م.

- المسبحى (عز الملك محمد بن عبيد الله ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م) "أخبار مصر" الجزء الأربعون (القسم التاريخى) حققه أيمن فؤاد سيد وتيارى بيانكى، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٨م.

- المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين ت ٣٤٦هـ/٩٥٦م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، طبعة بيروت ١٩٧٩م.

-التنبيه والأشراف، بيروت ١٩٩٣م.

- المقريزى (تقى الدين أحمد بن على المقريزى ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) الخطط المقريزية المعروفة بالمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ١-٢، بولاق ١٢٧٠هـ وطبعة لبنان.

- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ١-٣، الأول بتحقيق جمال الدين الشيال والثانى والثالث بتحقيق محمد حلمى محمد أحمد، القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ – ١٩٧٣.

- السلوك لمعرفة دول الملوك، من ١-٢ نشرهما محمد مصطفي زيادة، في ستة أقسام، جـ٣، جـ٤ نشرهما سعيد عاشور في ستة أقسام آخرها عن دار الكتب المصرية ١٩٧٠، ١٩٧٢، ١٩٧٣م.
- مسودة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، تحقيق أيمن فؤاد سيد، لندن ١٩٩٥م.

ناصر خسرو (قام برحلته بين سنتى ٤٣٧-٤٤٤هـ/١٠٤٥-١٠٥٢م) "سفرنامه"، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة ١٩٩٣م.

ثانياً : المراجع

أ. المراجع العربية والمعربة:

- إبراهيم أحمد العدوى، الإمبراطورية البيزنطية، القاهرة. د.ت.
- أحمد عبد الرازق، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربى، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م.

-تاريخ وآثار مصر الإسلامية منذ الفتح العربى حتى نهاية العصر الفاطمى، دار الفكر العربى ١٩٩٣م.

- أشرف محمد أنس مرسى، كتب الدساتير في عصر المماليك ٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) مع تحقيق ودراسة مخطوط الخالدى "المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا"، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة المنصورة، كلية الآداب، ٢٠٠٣م.
- أيمن فؤاد سيد، دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين في مصر"، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين، القاهرة ١٩٨٢م.
- ثروت عكاشة، الفن البيزنطي، موسوعة تاريخ الفن، العين تسمع والأذن ترى، ط أولى، القاهرة ١٩٩٣م.
- جمال الدين الشيال، مصر في العصر الفاطمى، القاهرة. د.ت.

- حسن إبراهيم حسن، الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة ١٩٣٢م.
- حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة ١٩٥٧م.
- الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ٣ أجزاء، القاهرة ١٩٦٥-١٩٦٦م.
- درويش النخيلي، السفن الإسلامية على حروف المعجم، الاسكندرية ١٩٧٤م.
- دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٣م.
- زكى محمد حسن، كنوز الفاطميين، القاهرة، ١٩٣٧م.
- ستيفن رنسميان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبد العزيز جاويد، القاهرة ١٩٩٦م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور وعبد الرحمن الرافعى، مصر في العصور الوسطى من الفتح العربى حتى الغزو العثمانى، القاهرة ١٩٩٢م.
- السيد الباز العرينى، الدولة البيزنطية، القاهرة ١٩٦٠م.
- طارق منصور، القسطنطينية في الكتابات الصليبية ١٠٩٦-١٢٠٤م دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين، مجلة المؤرخ المصرى، دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة، العدد التاسع والعشرون يناير ٢٠٠٦م.
- هارون بن يحيى (٣٠٠هـ / ٩١٢م) مصدر من مصادر التاريخ البيزنطي، حولية كلية التربية للبنات بالطائف، العدد السادس لعام ١٤٢٥ - ١٤٢٦هـ.
- الجيش في الامبراطورية البيزنطية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بنها، ١٩٩٣.
- عبد المنعم ماجد، نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، القاهرة ١٩٨٥م.
- تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، الانجلو، الطبعة الخامسة ١٩٨٦م.
- ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٩٤م.

- عبد الرحمن فهمى، أسوار القاهرة وأبوابها من جوهر القائد إلى الناصر صلاح الدين، مجلة المجلة، العدد ٥١، ١٩٦١م.
- عبد المنعم سلطان، المجتمع المصرى في العصر الفاطمى، دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة ١٩٨٥م.
- علية عبد السميع الجنزورى : الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، سلسلة تاريخ المصريين، العدد ٢١٤، ٢٠٠٣م.
- عمر محمد سعيد موعد : نظم بلاط العباسيين ورسومه في بغداد (١٣٢-٦٥٦هـ / ٧٤٠ - ١٢٥٨م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الآداب جامعة عين شمس، ١٩٨٠م.
- فايز نجيب اسكندر : الفتوحات الإسلامية لأرمينية (١١ - ٤٠هـ/٦٣٢-٦٦١م) الاسكندرية الجزء الأول، ١٩٨٣م.
- البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملانكرد (١٠٧١م / ٤٦٣هـ) في مصنف نقفور بريينيوس دراسة مقارنة للمصادر، الاسكندرية، ١٩٨٤م.
- الصليبيون والفاطميون والزنكيون في معركة البابين (١٨ مارس سنة ١١٦٧م/٢٥ جمادى الأولى سنة ٥٦٢هـ) مجلة الآداب والعلوم الإنسانية مجلة علمية تعنى بالأداب والعلوم والدراسات الإنسانية، العدد الثامن والأربعون، القاهرة، ابريل ٢٠٠٣م.
- ليلى عبد الجواد: الدولة البيزنطية في عصر الإمبراطور هرقل وعلاقتها بالمسلمين، القاهرة ١٩٨٥م. القسطنطينيه فى ضوء كتابات
- محاسن محمد الوقاد: احتفال الفاطميين برأس السنة الهجرية تحت الطبع.
- نجلاء مصطفي عبد الله شيحه : القسطنطينية في القرن العاشر الميلادى، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٩٩م.
- وسام عبد العزيز فرج :دراسات في تاريخ وحضارة الدولة البيزنطية، الاسكندرية، ١٩٨٥م.
- بيزنطة قراءة في التاريخ السياسى والإدارى، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
- وليم الصورى : الحروب الصليبية، ترجمة حسن حبشى، سلسلة تاريخ المصريين العدد ٧٧، القاهرة ١٩٩٥م.

ب. المراجع الأجنبية :

- Bréhier, L., *Le monde Byzatin*, t. II, Les institutions de L'Empire Byzantin, Paris, 1949.
- Bury, *The Imperial Administrative System* , London, 1911.
- Canard, M., 'Le Cérémonial Fatimite et Le Cérémonial Byzantin', *Byzantion* (1950).
- Chatelain, E., *Lexique Latin Français*, S.D, P. 385.
- Constantin VII Porphyrogénéte, *Le Livre des Cérémonie*, 1-2 texte établi et traduid par Albert vogt, Paris, 1935.
- Cosmas. *Indicopleustés, Topographie Chrétienne*, in Patrologiae Graecae, t. LXXX VIII.
- Dozy, R., *Supplément aux Dictionnaires arabes*, 1-11, Paris 1927.
- Ebersolt, J., *Le grand palais de Constantinople et le lirre des Cérémonies*, Paris, 1910.
- Grousset, R., *Histoire des Croisades, et du Royame Franc de Jérusalem*, Paris, 1935.
- Guilland. R, *Etudes de topographie de Constantinople byzantine*, Berlin, 1969.
- Guilland,R., Les Eunuques dans I'Empire Byzantin Etude de titulature et de Prosopographie byzantines. Etudes Byzantines Tome 1, 1943.
- Gustave Schlumberger, *Campagnes du roi Anaury, ler de jerusalem en Egypte au x11e siecle*, Paris, 1906.
- Hendy, M., 'Byzantion, 1081-1204: An Economic Reappraisal', *Transactions of the Royal Historical society*, ser, 5, 2. London, 1970.
- Henry, M., *Byzantine Court Culture from 899 to 1204*, Harvard university press, 1997.
- Janin. R, *Constantinople Byzantine*, Paris, 1950.
- Kazhdan, A.P., *The Oxford Dictionary of Byzantiun*, Oxford 1991.

- Lane-poole, S., *A History of Egypt in the Middle Ages*, London, 1936.
- Lev. Y, 'The Fatimids and Byzantium 10th-12th Centuries', *GrA* 6 (1995).
- Lopez, R., "The Dollar of Middle Ages" , *Journal of Economic History* II (1951).
- Parker, J., "A Twelfth Century Description of St. Sofhia", *Dumbarton Oaks Papers* 14(1960), pp. 233-245.
- Paula, S., *The Court Ceremonial of The Fatimid Caliphate in Egypt*, Ph.D. Dissertation present to the university of princeton, 1984.
- Odo of Deeuil, *De profectione Ludovici VII in Orientem*, ed.& trans. V.G. Berry, New York, 1948.
- Ringrose,K.M., *The perfect servant : Eunuchs and Social Construction of Gender in Byzantium*, London, 2003.
- Vogt, A., "L'hippodrome de Constantinople" , *Byzantion* 10 (1935) 477 – 488.
- Whitting, *Byzantine Coins*, New York, 1973.
- William of Tyre, *A History of the Deeds done beyond the Sea*, trans, and annotated by E.A. Babcock and A.C. Kery, New york, 1943.
- Willermus. A chiepiscopus tyrensis, *Histroia Remum in Partibus Transmarinis Gestarum* , *Recucueil des Historiens des Croisades*, Historien Occidentaux, Paris, 1844.